


بحوث في

حزب الله

تأليف

العلامة المجاهد سماحة
السيد صدر الدين القبانجي




هوية الكتاب

الكتاب: بحوث في حزب الله

المؤلف: السيد صدر الدين القبانجي

الناشر: مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

الطبعة: الثالثة _ النجف الأشرف _ ١٤٢٥ هـ

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: البيان / النجف الأشرف

السعر: ٧٥٠ دينار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

هل قدّم لنا القرآن أطروحة سياسيّة للتحرّك؟ وإذا كانت الإجابة بالايجاب، فما هي أبعاد تلك الأطروحة وحدودها؟

هل يؤمن الإسلام بحزب النخبة ويوكل مسؤولية الحركة إلى الثلّة القليلة من الكوادر الواعية ذات الخبرة؟ أم يعتقد بضرورة الانفتاح على الجماهير ويوظّف طاقاتها بالاتّجاه المناسب، ويؤمن بحقّها ودورها في التصدّي؟

ما هي القاعدة الفكرية للفرد المنتمي إلى حزب الله، الذي وصف الله عزّوجل أفراده بأنّهم هم الغالبون والمفلحون؟ وما ولاءآت هذا الفرد؟ وما المحكّ في بيان صدق هذه الولاءآت؟

تساؤلات تزداد أهمّيّتها وضرورتها في المرحلة الراهنة، نظراً للشرائط الدقيقة التي تكتنف جماهيرنا المسلمة، وهي مرحلة تشابكت فيها الخطوط، وغامت فيها المفاهيم، وتضبّبت فيها

الرؤية، فكان لزاماً على العالِم _ وقد ظهرت الفتن _ أن يظهر عِلمه. و لم لا؟ وإنقاذ فكرٍ الإنسان وروحه أهم وأولى من إنقاذ بدنه وجسده؛ وكيف لا؟ إذا كان من أحيا نفساً فكأنّما أحيا الناس جميعاً.

ويسر مكتب إمام الجمعة في النجف الاشرف أن يقدّم للسادة القرّاء الكرام كتاباً متميّزاً في هذا المجال، تصدّى فيه سماحة المؤلّف «حفظه الله» لبيان المفهوم القرآني لـ «حزب الله» باعتباره الأطروحة السياسيّة التي قدّمها القرآن الكريم للجماهير المسلمة، وتحدّث عن الولاء _ وهو المحتوى الأساس لأفراد حزب الله _ بشقّيه ووجهيه من التولّي والتبرّي، ابتداءً بالمستوى القلبي وهو الولاء لله تعالى وحبّه والخوف منه والثقة به، ثم المستوى العلميّ وهو طاعة الله تبارك وتعالى وإعلاء كلمته، ثمّ الولاء للرسول وأهل بيته عليه وعليهم السلام، وانتهاءً بالولاء للذين آمنوا.

والله تعالى نسأل أن يوفّقنا لمرضاته وخدمة دينه وإعلاء كلمته، إنّه نِعم المولى ونعم النصير.

الناشر

٢٥ / ربيع الثاني / ١٤٢٥ هـ

مقدمة المؤلف
للطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل حوالي عشرين عاماً ونحن في بدايات بناء التحرك الإسلامي الجماهيري العراقي في المهجر وجدنا أنفسنا بحاجة إلى بلورة النظرية الإسلامية في التحرك السياسي، وفي هذا الصدد أصدرنا مجموعة بحوث كان منها هذا الكراس الذي بين يديك.

والآن حيث تحرّر العراق من قبضة البعث الأسود، وأصبح من المهم أن يباشر الجمهور دوره في الواقع السياسي، رغب الينا بعض الأعزاء في إعادة طباعة هذا الكتاب.

و لم أستطع وأنا في مهام ميدانيّة يوميّة لتفعيل التحرك الإسلامي في العراق أن أعيد النظر فيما كتبت.

إلاّ أن رجائي أن تكون الحسنات فيه مقبولة عند ربي والهفوات فيها مغفورة وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

السيد صدر الدين القبانجي

١٨ / ربيع الثاني / ١٤٢٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البداية

(حزب الله) _ هذا المصطلح القرآني _ ليس حزباً سياسياً، بل هو ليس بالمعنى المعروف لكلمة (حزب).

إنما (حزب الله) هو مفهوم قرآني ديني يعبر في أحد مداليله عن رؤية خاصة لشخصية الإنسان المؤمن بالله تعالى من حيث أخلاقه، وسلوكه، وطبيعة علاقاته، سواءً كان هذا الإنسان فرداً واحداً، أو مجموعة صغيرة، أو أمة كاملة هي كلها (حزب الله).

(حزب الله) هو مفهوم قرآني ديني من ناحية.

ومن ناحية أخرى هو (أطروحة سياسية) لهـا كـل الأسـس والمقومات المطلوبة في الأطروحات السياسية. وقد شهدت هـذه الأطروحة السياسية عدة تطبيقات وتجارب، من خـلال تـاريخ الأنبياء الطويل واستطاعت أن تنتصر مرة، بينما تخفق مرة أخـرى _ على المستوى الظاهري _ في صراعها مع الاتجاهات السياسـية

الأخرى المنحرفة كما نعرفه جميعاً في تاريخ الأنبيـاء وصـراعهم ومحنهم وجهادهم من أجل تحقيق الغلبة بـ (حزب الله).

وأخيراً انتصر (حزب الله) وحكمت أطروحـة (حـزب الله)، وعرفت الجماهير أن خلاصها من عذاب الفرقة، والتمزق، والتيه، والضلال، إنما هو بالتزام هذا اللواء المبـارك لـواء حـزب الله، والانتماء إلى ساحل النور الإلهي، ساحل حزب الله الذي هو نور السماوات والأرض.

وكان هذا الانتصار في ظل الجمهورية الإسلامية المباركـة في إيران، وقيادة سليل الأنبياء ووارثهم الإمام الخميني العظيم.

إن ما نريد الحديث عنه في هذه البحوث وفي ضوء أطروحـة (حزب الله) هو الجانب الذاتي والاخلاقي في شخصية أفراد حزب الله، بينما سنتناول في بحوث لاحقة عن المنهج السياسي جوانـب الأطروحة السياسية لطريقة حزب الله في العمل.

* * *




الفصل الاول

حزبُ اللّه
عنواننا السياسي

- معنى الولاء
- النسبية في مفهوم حزب الله




إن عنوان (حزب الله) هو العنوان الذي اختاره القرآن الكريم للتعبير عن شخصيتنا الدينية والسياسية.

وحول هذا العنوان _ عنوان (حزب الله) _ وردت في القرآن الكريم آيتان:

الأولى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.[1]

الثانية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[2]

[1]- **سورة المائدة _ ٥٥ و٥٦.**
[2]- **سورة المجادلة _ ٢٢.**

ونحن إذا أردنا أن نكون فهماً قرآنياً مستوفياً عن حزب الله فإنّ علينا استلهام ذلك من هاتين الآيتين، ومن باقي الآيات القرآنية التي تدور حولهما.

طبعا فإن مضمون هاتين الآيتين مشروح في كثير من آيات الكتاب الكريم، ولذا فان علينا النظر في هاتين الآيتين كأساس، ثم في باقي الآيات التي تتناول نفس المفهوم وإن لم يرد فيها المصطلح اللفظي _ مصطلح حزب الله.

إن فكرة حزب الله وردت في القرآن الكريم من خلال كل الآيات التي تحدثت عن صفات المؤمنين، والمتقين، وإن لم يذكر فيها نفس المصطلح، ومن هنا فإنا سنعمد في فهم معنى (حزب الله) إلى مراجعة مجموع تلك الآيات، وإن كنا نتخذ من الآيتين السابقتين الركيزة في وضع أصول المفهوم.

* * *

الآية الاولى التي ورد فيها هذا العنوان _ حزب الله ذكرت خاصية الولاء لله، وللرسول صلى الله عليه وآله وللمؤمنين، وجعلتها هي المحتوى الاساس للإنسان الحزب اللهي. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

هذا الولاء الثلاثي لله وللرسول وللمؤمنين هو المقـوّم، وهـو المقياس في مدى انتماء وارتباط الإنسان بـ (حزب الله) ومـدى بعده عنه قليلاً أو كثيراً حتى يدخل في (حزب الشيطان).

على أن هذا الولاء والتولي ذي الشعب الثلاث _ الله، الرسول، الذين آمنوا _ هو من الوجه الاخر له براءة وتبري من أعداء الله، وأعداء الرسول، وأعداء الذين آمنوا، فـ (حزب الله) هو ارتباط بجهة وانتماء اليها، وهي جهة الله، ومن ناحية أخرى ابتعاد عـن جهة، وانقطاع عنها، بل ومعاداة لها، وهي جهة الشيطان، وأعداء الله، وأعداء الرسول، وأعداء الذين آمنوا، وهـؤلاء هـم أتبـاع الشيطان.

إن الآية الثانية في (حزب الله) وهي قوله تعـالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾.

هذه الآية تشير إلى الوجه الآخر للتولي، هذا الوجه الآخر هـو مقاطعة أعداء الله وأعداء الرسول وأعداء الأمة المؤمنة، والـبراءة منهم، وبدون هذه المقاطعة لأعداء الله والرسول، والتبري منـهم، مهما كانت درجة قربهم النسبية والقومية ولو كـانوا آبـاءهم أو

أبناءهم أو عشيرتهم، بدون المقاطعة مع كل هؤلاء فإن الولاء لله، وتوليه تبارك وتعالى، يكون أجوفاً وغير حقيقي.

لذا أكدت الآية السابقة أن المؤمن بالله وباليوم الآخر لا يمكـن أن يكون موالياً لأعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله وأعـداء المؤمنين.

ننتهي من هذا العرض إلى نتيجة، وهي أن القاعـدة الفكريـة والنفسية للإنسان (حزب اللهي) هي الولاء الثلاثي لله، ولرسوله، وللذين آمنوا، هذا الولاء الذي هو بوجهه الآخر براءة من أعـداء الله، وأعداء الرسول، وأعداء الذين آمنوا.

هذه هي القاعدة في (حزب الله).

والآن لننظر هذا الولاء ذي الشعب الـثلاث مـاذا يتطلـب؟ وكيف يكون ولاءاً صادقاً؟

*   *   *

معنى الولاء

الولاء والتولي بشكل عام يعني في محتواه الحقيقي الكامل ثلاثـة أمور: إيمان، تعاطف، وانقياد.

فتولي أية قضية يعني إيمانك بها، وباستحقاقها، وتعاطفك النفسي معها، واندفاعك نحو إثباتها، وتحقيقها، وإنجاحها، وهكذا انقيادك لكل ما تتطلبه منك تلك القضية وتدعوك له.

هكذا _ إذن _ تولي الله يعني:

إيمان، تعاطف، انقياد.

أولاً: _ إيمانك بالله، وقناعتك الفكرية والنفسية به تبارك وتعالى.

وثانياً: _ تعاطفك مع هذا الإله الخالق المعبود وارتباطك به عزوجل نفسياً وعاطفياً، حتى تحاول الوصول إليه، والتوجه نحوه، وكسب مرضاته، والتحبب إليه.

وثالثاً: _ انقيادك له تبارك وتعالى، حتى لا تعصي ما أمرك به، ولا ترتكب ما نهاك عنه، وبدون هذا الانقياد فإن الولاء سوف لا يكون أكثر من عنوان، ومجرد ادعاء لا يعبّر عن حقيقة.

ومثل هذا نقوله في تولي الرسول، وتولي المؤمنين، هو إيمان، تعاطف وانقياد، وهذا ما سنشرحه إن شاء الله تعالى في الفصول الآتية.

سنجعل حديثنا _ إذن _ في حدود شرح هذا الولاء:

١ _ الولاء لله تعالى

٢ _ الولاء للرسول صلى الله عليه وآله

٣ _ الولاء للذين آمنوا

* * *

النسبية في مفهوم حزب الله

ويجب أن نشير في البدايه إلى قضية مهمة:

هي أن حزب الله ليس مقولة حدية لا تفاوت فيها، إنما هي مقولة نسبيّة، فهناك من يقترب إلى الله تعالى، ويصعد في سلّم الإيمان حتى يصل إلى درجة اليقين، تلك الدرجة التي لا يبلغها إلا قليل من المؤمنين، تلك الدرجة التي كما ينقل «أن أقل ما قُسّم على العباد هو اليقين».[1]

هناك من يصل إلى هذه الدرجة وهي أعلى درجات الإيمان، وحتى في هذه الدرجة هناك مراتب، هناك أقوى وأضعف، هناك أعلى مراتب اليقين، تلك المرتبة التي قال فيها الإمام علي عليه السلام:

---

[1]- راجع تفسير القرآن للسيد مصطفى الخميني، ج ٤: ٣٩٢.

«لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً».[1] وهي آخر درجات اليقين بالله، حتى كان في يقينه كمن يرى الله تعالى.

تلك الدرجة التي قال فيها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي ما عرف الله حق معرفته إلا أنا وأنت»[2].

هناك من يَصل إلى هذه الدرجة، ويقترب إلى الله أشد ما يكون الاقتراب، وهذه درجة العصمة التي بلغها الأنبياء والأوصياء.

وهناك من لا يبلغ هذه الدرجة، ومع ذلك فهو من المؤمنين، من حزب الله، من أتباع الله، وليس من حزب الشيطان وأتباع الشيطان.

إن (حزب الله) مقولة نسبية، يتفاوت فيها الناس المؤمنون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.[3]

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾.[4]

وفي كل هذه الدرجات يكون الإنسان مؤمناً، حزب اللّهي، غير خارج عن صفوف حزب الله، وهكذا ورد في الحديث

1- مناقب آل أبي طالب ١:٣١٧.
2- مناقب آل أبي طالب ٣:٦٠.
3- سورة آل عمران _ ١٦٣.
4- سورة الاحقاف _ ١٩.

الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم له عشر مراقي، وترقى منه مرقاة بعد مرقاة، لا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولنّ صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء».[1]

والإنسان يبلغ أعلى درجة من درجات حزب الله حينما تجتمع فيه صفات المؤمنين، وحينما يرقى إلى آخر درجة في سُلَّم الإيمان، فيمتليء قلبه بالإيمان، وتخشع كل جوارحه وجوانحه لله وحده لا شريك له، وذلك هو ما عبّرت عنه الآية الكريمة حين تحدثت عن حزب الله فقالت: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾.[2]

وكما إن (حزب الله) درجات، كذلك فإن (حزب الشيطان) درجات.

بمقدار ما يهبط الانسان بعيداً عن درجات حزب الله، يكون أقرب إلى حزب الشيطان، وهنا _ والعياذ بالله _ كلّما ينغمس في طاعة الشيطان، يبتعد أكثر عن الله، أكثر فأكثر، حتى يكون ممن استحوذ على قلبه الشيطان فأنساه ذكر الله، كما قال تعالى:

1- الخصال _ للشيخ الصدوق _ باب العشرة.
2- سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[1] وتلك آخر درجة، وأحقر درجة في سلم حزب الشيطان. وقد ورد في الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب امحت، وإن زاد زادت، حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً».[2]

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبد إلاّ وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبها إلى خير أبداً، وهو قول الله عزوجل ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3]».[4]

* * *

إذن هناك سلّم الإيمان وهناك سلم الشرك والفجور، والإنسان بين هذين السلّمين، يستطيع أن يرقى إلى أعلى وأشرف درجة في

---

[1]- سورة المجادلة _ ١٩.
[2]- أصول الكافي _ ج ٢- باب الذنوب _ ص ١٣.
[3]- سورة المطففين، الآية: ١٤.
[4]- ميزان الحكمة _ ج ٣ _ باب الذنوب.

سلم الإيمان، فيكون من حزب الله من الدرجة الأولى، ويستطيع _ والعياذ بها _ أن يهبط في سلم الفجور والضلال حتى يصل إلى أسفل درجة في سلم حزب الشيطان.

إن ما نريد تأكيده في هذه النقطة، وفي بداية حديثنا عن (حزب الله) وخصائصه، أن كل المؤمنين هم من حزب الله طالما كانوا يرتبطون بالله تعالى، وفي أية درجة كانوا.

نعم إذا نسوا الله فأنساهم أنفسهم خرجوا من دائرة حزب الله بالكامل، ليقعوا في دائرة (حزب الشيطان).

أمّا هنا وفي هذه الفصول فإننا سنتحدث عن مواصفات الإنسان المؤمن الـ (حزب اللهي) في حدود ما تفيده الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ومن تجتمع فيه كل تلك المواصفات وبأعلى مراتبها يكون مؤمناً حزب اللهياً من الطراز الأول.

وإن علينا إذ نريد أن نكون من حزب الله أن نجدَّ في جمع هذه الصفات وتحقيقها في أنفسنا لنكون من المفلحين.

أما أن ندعي دائماً بأننا من (حزب الله) لكننا بعيدون عن هذه الصفات، بعيدون عن الله، عن الارتباط الوثيق به، فإننا _ لا سمح

الله ــ قد ننسى أنفسنا، ونظل في غمرة ادعاءاتنــا، ويــزيّن لنــا الشيطان أعمالنا، ويجرّنا إلى حزبه من حيث لا نشعر، والعياذ بالله.

* * *




الفصل الثاني

الولاء للّه جلَّ جلاله

- حبّ الله
- حقوق الله
- الثقة بالله
- طاعة الله
- التصدي لاعلاء كلمة الله




الولاء لله تبارك وتعالى هو خاصية حزب الله، هو خاصية الانسان الـــ (حزب اللهي).

ومن هذا الولاء تتفرع الولاءات الأخرى للرســـول، وللـــذين آمنوا، ومن هذا الولاء أيضاً تنشأ المعاداة والبراءة من أعداء الله.

إذن فالولاء لله، وتوليّه تعالى هو القاعدة التي تنبني عليها وتنبثق منها كل مواصفات وخصائص حـــزب الله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾.[1]

وهذا الولاء لله تعالى يـــنعكس علـــى عواطـــف الانســـان، وأحاسيسه، ومشاعره، وعلى سلوكه وعمله.

إن الانسان حينما يؤمن بقضية نظرياً وفكرياً، فإن هذا الإيمـــان _ حينما يكون إيماناً عميقا وأكيداً وراسخاً _ يتسرب إلى أعماق نفسه فيطبعها بطابع خاص، ويولّد علاقة نفسيّة خاصة، ثم من هذا

[1]- سورة محمد _ ١١.

الموقع _ موقع عواطف الانسان ومشاعره _ ينعكس على سلوكه، وأعماله، وسائر نشاطاته.

وهذا هو معنى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمنّي ولكن ما خلص في القلب وصدّقه الاعمال».[1]

هكذا الحديث الشريف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان، وعمل بالأركان».[2]

وعلى هذا فاننا سنتحدث عن الولاء لله على مستويين: على مستوى ذواتنا وأنفسنا ووجداننا ثم على مستوى عملنا، ومواقفنا.

الإنسان الـ (حزب اللهي) هو ذلك الذي يتمثل الولاء لله تعالى في مشاعره وعلاقاته النفسية، وهكذا في سلوكه وعمله وطريقة ارتباطاته مع الغير.

* * *

أما على مستوى ذواتنا، ومشاعرنا النفسية فإن الولاء لله تعالى يتمثل أوضح ما يتمثل في:

[1]- ميزان الحكمة _ ج ١- باب الإيمان _ عن مصادره.
[2]- المصدر السابق.

حب الله، وخوف الله، والثقة بالله.

أمّا على مستوى العمل، فالولاء لله تعالى يتمثل في:

طاعة الله تعالى، وفي العمل لإعلاء كلمة الله وحمل مسؤوليتها، وفي رفض أعداء الله تعالى ومواجهتهم.

على ذلك فإن الانسان الـ (حزب اللهي) المنتمي إلى الله تعالى، والمرتبط به، يحمل الصفات الخمس المنبثقة كلها من الولاء لله تعالى.

هذه الصفات هي: _

١ _ حب الله تعالى

٢ _ خوف الله تعالى

٣ _ الثقة بالله تعالى

٤ _ طاعة الله تعالى

٥ _ التصدي لإعلاء كلمة الله تعالى

وفيما يلي نتناول هذه الصفات الخمس بشيء من الشرح والتوضيح.

* * *



الفصل الثالث

حب اللّه جلّ جلاله

- علاقات المحبّة الأُخرى
- حبُ الله وحبُ الطرق اليه
- فوق الانتماءات
- الحبُّ في الله
- حالة الاستيعاب
- الوجه الآخر للحب




ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام[1] قوله: «وهل الدين إلاّ الحب؟ إن الله عزوجل يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾».[2]

وفي رواية أخرى أن فضيل بن يسار سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الحب والبغض أمن الإيمان هو؟

فقال عليه السلام: «وهل الإيمان إلاّ الحب والبغض؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾».[3]

* * *

الأصل في علاقتنا مع الله تعالى هو الحبّ.

هذا الحب المتبادل، فكما أن الله تعالى يحب عباده الصالحين، كذلك العباد الصالحون يحبون الله ويودوّنه.

---

[1]- انظر هذه الروايات في ميزان الحكمة _ ج ٢- باب المحبّة.

[2]- سورة آل عمران _ ٣١.

[3]- سورة الحجرات _ ٧.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.[1]

وهنا في هذه النقطة بالذات يفترق المؤمنون عن غيرهم من الفاسقين والمنافقين والمنحرفين. ذلك أن ﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.[2]

* * *

الانسان المؤمن، الانسان الـ (حزب اللهي) هو ذلك الذي يستشعر الحب لله تعالى في أعماقه، حتى يكون الله تعالى أحب اليه من أي شيء آخر.

كما ورد في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا يؤمن أحدُكُم حتى يكون الله ورسوله أحبَّ اليه ممّا سواهما».[3]

والدين حريص على تعميق هذه العلاقة النفسية علاقة الحب والمودة بين الله وعبده، بين المتبوع والتابع، بين المخلوق والخالق، من حيث أنّ المودة الصالحة، الحب لأولياء الله.

* * *

[1]- سورة المائدة _ ٥٤.
[2]- سورة البقرة _ ١٦٥.
[3]- الأخلاق _ السيد عبد الله شبر _ ٢٦٤.

بمقدار ما يمضي الانسان في هذا الحب، وبمقدار ما يكون عاشقاً لله تعالى، يَصعد في سُلّم الايمان، يتعمق أكثر ليكون من الأوائل في حزب الله الذين كَتَب الله في قلوبهم الإيمان.

وبمقدار ما ينضب هذا الحب في قلب الانسان بمقدار ما يبتعد عن حزب الله ويقترب قليلاً قليلاً نحو حزب الشيطان.

* * *

إن الحبّ لله تعالى هو دليل الإيمان. ذلك أن الإيمان الحقيقي لا يقف عند سطوح الدماغ، إنما ينزل ليملأ القلب، ويهيمن على النفس، ومن لا يحمل هذا الحب لله، لا يمكن اعتباره مؤمناً ولا يمكن أن يكون من حزب الله.

إن (حزب الله) هم أولئك المرتبطون مع الله بأفكارهم، وعواطفهم، وسلوكهم.

إن الانسان الحزب اللهي هو ذلك الذي يعرف أن هويّته هي محبة الله تعالى، وإلاّ فكيف يكون من حزبه؟

* * *

والمحبّةُ هي المحرّك الحقيقي نحو الطاعة، نحو العمل فيما يُرضي الله، وهي طريق تكامل هذا الانسان وعروجه إلى مقام الربوبية،

والدين يحاول دائماً أن يجعل علاقة المحبة هذه أوثــق العلاقــات، وأقوى الروابط بين الله والانسان. والذين يفترضون أنهم (حــزب الله) يجب أن يمتحنوا أنفسهم هنا، يمتحنوا أنفسهم بالنظر في مقدار حبّهم وعشقهم لله تبارك وتعالى.

فالله تعالى أحبّ إلى المؤمنين من هذه الدنيا ونعيمها، أحبّ إلى المؤمن من كل ما عداه.

ويعترض القرآن الكريم على أولئك الذين حلت الدنيا بأعينهم فرغبوا بها عن الله تعالى فيقول:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.[1]

ولقد بلغ الأنبياء والأوصياء مبلغ القمّة في هذا الحب، فكــانوا هم الأولياء حقيقة، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته:

«إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبَّتك فرام منك بدلاً؟ ومن ذا الذي أَنِس بقربك فابتغى عنك حِوَلاً؟ إلهي فاجعلني ممَّن اصطفيته

---

[1]- سورة التوبة _ ٢٤.

لقربك وولايتك، ومنحته بالنظر إلى وجهك، وحبوته برضــاك، وأعذته من هجرك وقلاك.. وهيمت قلبه لإرادتــك، واجتبيتــه لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك، وفرّغت فؤاده لحبّك...».[1]

ويبلغ هذا الحب أقصاه، حتى يكون البعد عن الله، وفراقه أشدّ من عذاب جهنّم على ذلك المحب، وفي هذا يقول أمــير المــؤمنين عليه السلام:

«فهبني يا إلهي وسيّدي ومولاي وربي صبرتُ علــى عــذابك فكيف أصبرُ على فراقك».[2]

* * *

علاقات المحبّة الاخرى

وعلاقات المحبّة كثيرة، ذلك أنــه ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ...﴾.[3]

لكن خاصية المؤمن، لكن خاصية الانسان الــ (حزب اللــهي) أن حبَّه لله يتجاوزُ وَيعلو على كل حبٍّ آخر، كما قال الله تعالى:

---

[1]- انظر مفاتيح الجنان _ مناجاة المحبين.
[2]- انظر دعاء كميل _ مفاتيح الجنان.
[3]- سورة آل عمران _ ١٤.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.[1]

المؤمن لا يبغض نِعَمَ الله، وعطاءَه وسائر الخيرات في هذه الحياة الدنيا، إنه أيضاً يحبها، لكن حبَّه لله أشدُ دائماً، وأقوى أبداً، وحينما يَقع تزاحمٌ وتعارضٌ بين مطلوبٍ إلهي وبين أمرٍ من أمور هذه الحياة فإنَّ الاولَّ هو الذي سيغلب.

على سبيل المثال: الانسان يحب الراحة، يحب النوم، لكن أولياء الله يتخذون من ساعات النوم ساعات مناجاة، وقد ورد أن الله تبارك وتعالى قال لموسى بن عمران: «يا بن عمران كذِبَ من زعم أنهُ يُحبني، فإذا جنَّهُ الليل نام عنّي، أليس كل محبٍ يحب خلوة حبيبه؟ ها أنذا يا بن عمران مطلّع على أحبائي إذا جنهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم...يابن عمران هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع في ظلم الليل فإنك تجدني قريباً».[2]

حب الله وحبُ الطرق اليه

ومن أحب شيئاً أحب الطريق اليه، وهانت عنده كل الصعوبات من أجل الوصول إلى حبيبه.

[1]- سورة البقرة _ ١٦٥.
[2]- بحار الأنوار _ ج ٧٠- ص ١٤.

هكذا المؤمنون الذين ذاقوا حلاوة محبة الله، فإنَّ كل وسيلة تقربُهُم إلى الله _ محبوبهم الأول _ هي محبوبةٌ عندهم.

ولذا ورد في الدعاء عن الرسول صلى الله عليه وآله: «اللهم ارزقني حبَّك، وحبّ من يُحبُكَ، وحب ما يقربني إلى حبّك، واجعل حبك أحبّ إليّ من الماء البارد».[1]

إنه حينما يكون الله حبيب قلوب الصادقين، فإن الأعمال الموصلة اليه تكون محبوبةً، والأشخاص الذين يدعون إليه يكونون أيضاً محبوبين، وتكون كل الوسائل الواقعةِ في طريق الله محبوبةً. الصلاة مثلاً لأنها طريق إلى الله، ولأنها (معراج المؤمن) فهي حبيبةٌ للمؤمنين، وليست ثقيلةً، ولا كبيرةً، نعم هي ثقيلةٌ وكبيرةٌ على أولئك الذين ضعفت أو انعدمت عندهم أحاسيسُ المحبّةِ لله تعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾،[٢] وهكذا الرسل والأنبياء لأنهم يبلّغون عن الله، ويربطون الخلق بالله، ولأنهم الطُرُقُ إلى الله تعالى فهم محبوبون للإنسان المؤمن.

[1]- ميزان الحكمة _ ج ٢- باب المحبّة.
[2]- سورة البقرة _ ٤٥.

وهكذا كل وسيلةٍ توصلُ إلى الله، التفكير في آيات الله، أو التباحث في مخلوقات الله، أو الكتابة في سبيل الله، إن كل هذه جميعاً تكون محبوبةً طالما هي في طريق الله.

لكن يبقى حبُّ الله هو الأشد، وهو الأصل كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.[1]

فحبُّ الوسائل إلى الله لا يكون حباً أعمى.

إنما هو حبٌّ مشروط، إنما هو حبٌّ هادف، فطالما كانت الوسيلةُ توصل إلى الله فهي محبوبة، أمّا إذا ابتعدت عن ذلك فهي مرفوضةٌ.

الأنبياء مثلاً هم رسلُ الله، وطرقٌ اليه.

والإنسان المحب لله محب لرسل الله.

لكن لا يتخذ من هؤلاء الرسل آلهةً من دون الله،: كما حدّث القرآن الكريم عن أولئك الذين اتخذوا من عيسى المسيح عليه السلام إلهاً، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.[2]

[1]- سورة البقرة _ ١٦٥.
[2]- سورة المائدة _ ١١٦.

وهكذا خالف القرآن الكريم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[1]

لماذا؟ لأن الهدف هو الله، فلا يمكن أن تتحول الوسائل نفسها إلى هدف مقابل الله تبارك وتعالى.

حتى الأنبياء، والأوصياء، والعلماء يجب أن يكون حبُّهم في حدود ما هم طرق إلى الله، أمّا أن نتخذهم أرباباً من دون الله فذلك هو الشرك الذي يقول فيه القرآن الكريم: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.[2]

لأنك سوف لا تصل إلى الله، ولأنك سوف تكون بعيداً عن الله.

* * *

فوق الانتماءات

وهنا نؤكد صفة مهمة في الإنسان الـ (حزب اللهي)، هذه الصفة هي الالتفات دائماً إلى أن الحب إنما هو لله بالأساس، وأي طريق، أو أية وسيلة، أو أي شخص، أو أي أسلوب نضمر له

[1]- سورة التوبة _ ٣١.
[2]- سورة الزمر _ ٦٥.

الحب طالما كان يوصل إلى الله ، وبمقدار ما هو مقرّب إلى الله تعالى وإلى مطاليبه.

الانسان الــ (حزب اللهي) هو ذلك الذي يضع الله وحب الله فوق كل شيء.

هو ذلك الذين يجعل من (حب الله) مقياساً يحكم من خلالــه على هذا العمل أو هذه الطريقة، أو هذا الشخص.

الانسان الــ (حزب اللهي) هو صاحب الحب الواعي، ولــيس الحب الأعمى.

الانسان الــ (حزب اللهي) هو ذلك الانسان الذي لا يطغــي في حب الطرق إلى الله حتى يجعل منها أصناماً تُعبد من دون الله.

الانسان الــ (حزب اللهي) هو ذلك الذي يحتفظ بالتوازن في علاقات المحبّة التي يضعها هنا وهناك.

وفي التاريخ ظهرت أنماط عديدة من الصنميّة، ومــن الآلهــة المتخذة من دون الله.

قد تكون هذه الصنميات بشكل صريح كاولئك الذين عبــدوا الأوثان، ومع ذلك فقد كانوا يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.[1]

وقد تكون بشكل غير صريح كأُولئك الذين اتخذوا القوم، أو العشيرة، أو الفئة المعينة، أو الشخص، أو الجماعة السياسية هدفاً أعلى، ونسوا أن الله تعالى فوق القومية، والعنصريّة، وفوق العشيرة، وفوق الفئة الخاصة، وفوق الأشخاص وفوق الأحزاب.

أما الانسان الــ (حزب اللهي) فهو ذلك الذي ينتبــه دائمــاً، ويعرف أن ارتباطه بالأساس هو بالله، وهو منتمٍ إلى الله قبل كــل شيء، قبل الانتماء إلى فئة، أو إلى قوم، أو إلى شخص.

ومن هنا فهو من حزب الله، لأن الله تعالى هو هدفــه، وهــو الطرف الذي يتعلق به، وكل ما عداه يزول ويتلاشى عنده.

وهنا من المهم أن أذكرّ بمعنى الصنميّة...

ما معنى أن يكون شيء مّا رباً من دون الله؟

وما معنى أن يكون الحب حباً أعمى فيضل الانسان عن ســبيل الله؟

---

[1]- سورة الزمر _ ٣.

وما معنى أن نقدّس شخصاً أو كياناً أو طريقة حتى تتحوّل إلى صنم؟

ليست الصنمية بأن نصلي لـذلك الشخص أو الكيان أو الطريقة؟

ليس الصنمية بأن نسجد ونركع لهؤلاء من دون الله.

قد يبقى الانسان يصلي ويصوم لله، ومع ذلك فهو _ من حيث يشعر أو لا يشعر _ قد اتخذ أصناماً من دون الله عز وجل.

كيف ذلك؟

الإمام الصادق (عليه السلام) يجيب حين يتحدث عن قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[1] فيقول: «والله ما صاموا لهم ولا صلّوا لهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم».[2]

هذا الاتباع الأعمى الناشيء من التقديس الأعمى هو الصنمية، والربوبية المشار إليها في القرآن الكريم.

إن الحب، والتقديس، والإتباع، يجب أن يكون دائماً عن وعي، وعن انتباه إلى أن الهدف هو الله قبل كل شيء.

---

[1]. سورة التوبة _ ٣١.
[2]. أصول الكافي _ ج ١. كتاب فضل العلم _ باب التقليد.

والحديث الشريف عن الإمام الجواد (عليه السلام) يقول: «من أصغى إلى ناطق فقد عَبَدَهُ، فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد ابليس».[1]

الدين له مقاييس ثابتة، والحق له مقاييس محددة، ولا يمكن اختلاق مقاييس ومعايير أخرى للحق وللدين.

الكتاب، والسنة هما المقياس دائماً وأبداً ولا ثالث، وأهل البيت (عليهم السلام) هم الذين ينطقون عن الكتاب والسنة.

ولقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «لا يُعرف الحق بالرجال، إعرف الحق تعرف أهله».[2]

أمّا كيف نعرف الحق؟

نعرفه من الكتاب والسنة ولا ثالث، وحتى الأكثرية ليست مقياساً، وطول التجربة ليس مقياساً، والحنكة الشخصية ليست مقياساً، هذه كلها ليست مقاييس مطلقة في معرفة ما هو الحق الذي يجب أن يتبع، وما هو الدين الذي ندين الله به.

وإذا ما اتخذنا من هذه مقاييس فتلك هي الصنمية التي تورط بها قوم قبلنا ذكرهم القرآن الكريم.

---

[1]- تحف العقول _ كلمات الإمام الجواد (عليه السلام).
[2]- ميزان الحكمة _ ج ٢. باب الحق _ عن مصادره.

وهكذا فإن الانسان الـــ (حزب اللهي) هو ذلك الذي يعرف الحق ثم يعرف أهله، وإذا عرف أهله فإنه لا يقدســـهم تقديســـاً مطلقاً، وإنما يبقى الحق هو مقياسه وميزانه الأول والأخير.

* * *

الحبُّ في الله

وتشير العديد من الروايات إلى أن الحب في الله هو أوثق عرى الايمان، وهو من دلائل كمال الايمان، ومن علامات المؤمن.

فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله فهو ممن كمل إيمانه».[1]

وورد عنه (عليه السلام) أيضاً قوله: «من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله».

وعن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «ودّ المـــؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان».

وهكذا ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه سأل أصـــحابه: «أي عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقـــال بعضـــهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضـــهم: الصـــيام، وقـــال

[1]- راجع هذه الأحاديث في ميزان الحكمة _ ج ٢- باب المحبة، وكذلك أصول الكافي _ ج ٢- باب الحب في الله.

بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رســـول الله صلى الله عليه وآله: لكل ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله...».

والسؤال الآن: كيف أصبح الحب في الله والبغض في الله بهـــذه المثابة؟

أوثق عُرى الايمان، ومن أعظم شعب الإيمان، ومن كمال ايمان المرء، حتى فاق الصلاة، والصيام والحج، والزكاة...

الحقيقة التي أشرنا اليها سابقاً هي التي تفسّر ذلك...

«إن الله تعالى هو هدفنا، وبه يتعلق حبنا، ونحن ننتمـــي إليـــه، ونرتبط به وكل ما عداه من متعلقات حبنا هي وسائل وطرق اليه، ونحن إنما نحبها في الله، ومن أجل الله».

حينما نكون صادقين في حبنا لله، إذن يجب أن نحبها لأنها طرق إلى الله، وفي ذات الوقت فإن حبنا لهـــا لا يطغـــى، ولا يتجـــاوز حدوده، وليس حباً أعمى، فإنما نحبها في الله، ومن حيث إنها طرق إلى الله، لا نحبها لذاتها، ولا نقدسها لانها هي، وفي أية لحظة نجـــد طريقاً أقرب إلى الله فإننا سنتخلى عنها.

هذا هو الحب الصحيح، وهكذا يكون الانسان من حزب الله.

إننا لا نتخذ من الوسائل أهدافاً، ومن الأشخاص والكيانـــات أرباباً.

الانسان المؤمن الــ (حزب اللهي) هو ذلك الذي يطبق مقياس الله في علاقاته، هو ذلك الذي يقول : «اللهم إني لــو وجــدتُ شفعاء أقرب إليك من محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتُهم شفعائي».[1]

إن الحب في الله إنما أخذ القيمة المتقدمة التي أشــارت إليهــا الأحاديث الشريفة لأن أي انحراف عنه يــؤدي إلى الوقــوع في الصنميّة الخطرة.

* * *

إنني أحب فلاناً، لماذا؟

لا لأنه ابن لغتي، وينتمي إلى قوميتي، ولا لأنه ابــن عشــيرتي وقرابتي، ولا لأنه ينتمي إلى نفس الفئة، أو الهيئــة أو الحــزب أو الجماعة التي أنتمي اليها، ولا لأنه من أبناء مدينتي، إنمــا الأصــل والأساس هو لأنه من المؤمنين، لأنه من هذه الجماعة الكبيرة الــتي

[1]- زيارة (الجامعة الكبيرة).

أنتمي اليها، جماعة حزب الله، فالايمان بالله هو أساس حبّنا، مهما اختلف عني في اللغة، أو القوميّة، أو المدينة، أو الفئة، أو الحزب.

أمّا حين أحبّه لا لأجل الإيمان الذي يستوعب كل المــؤمنين، حين أحبه لأجل عنوان واحد مما ذكرناه من الأسباب، فذاك معناه الشرك، معناه أننا وضعنا لعواطفنا وهكذا لسلوكنا مقاييس أخرى غير الله.

حالة الاستيعاب

وهنا _ في الحديث عن الحبّ في الله _ يجــب أن نشــير إلى خاصية الاستيعاب ، وسعة الأفق، وسعة الارتباط في الانسان الــ (حزب اللهي)، فهو يرتبط نفسياً وعملياً بمن كان قريباً منه ومــن كان بعيداً، بمن يتفق معه تماماً في صيغة العمل وبمن يختلــف معــه طالما كان المؤمن عاملاً للاسلام.

الانسان الــ (حزب اللهي) لا يكون فئوياً، لا يكون ضيّقاً في تعامله، لا يكون احتكارياً بحيث يرى أنه وحده وجماعته على الحق والباقون على ضلال وإن كانوا من المؤمنين.

الانسان الـ (حزب اللهي) يفتح قلبه لجميع المؤمنين، لجميع من يعبدون الله، ويريدون مرضاته، ويعملون له ومن أجله.

الانسان الـ (حزب اللهي) يُحسن الظن بالغير، ويتعاطف معهم على أساس أنهم جميعاً عاملون لله وإن اختلفت الطرق.

من هنا فهو يحبهم جميعاً، وهذا معنى (الحب في الله).

* * *

وهكذا حينما أحب فئةً ما، وجماعةً ما.

لماذا أحبهم؟

لا لأني ارتبط معهم بروابط تنظيميّة معيّنة، لا لأنهم يحملون نفس الاسم الذي أحمله، اسم تلك الفئة والجماعة، ولا لأني طالما عملت معهم، وتعبت من أجلهم، اذن يجب أن لا أضيّع تلك الاتعاب.

إنما فقط أحبّهم لأنهم يعملون لله، وقضيتهم هي قضية الله، وحينئذ فأنا كما أحبّهم أحب غيرهم أيضاً، لأن القضية ليست قضية جماعة محدودة، إنما قضية الله، وأنا أحبهم حيث كانوا في طريق الله، وخدمة رسالة الله، وخدمة أمة الله، أمّا إذا زاغوا عن

ذلك فأنا لست منهم في شيء، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.[1]

هذه هي خاصية حزب الله، وصفة الانسان الـ(حزب اللهي).

الوجه الآخر للحب

والوجه الآخر لحب الله هو بغض أعداء الله، وبغض كل طريق يبعد عن الله تعالى.

فالقلب الذي يتجه نحو الله يعاكس حتماً أعداء الله، والقلب الذي يتعلق بالله ينفصل حتماً عن أعداء الله. ليس فقط عن أعداء الله، إنما أيضاً عن كل عمل، وكل أسلوب، وكل قضية تجره بعيداً عن الله.

ومن أجل أن يكون الانسان صادقاً في ولاءه لله، ومن أجل أن يكون صادقاً حين يقول إنني من حزب الله، فإن عليه أن يستشعر الحب لله، ولاولياء الله، وللأعمال الموصلة إلى الله، ومن الطرف الآخر عليه ان يستشعر البغض لأعداء الله، ولكل الأعمال التي تبعده عن الله.

[1]- سورة الأنعام _ ١٥٩.

والآية الثانية التي ورد فيها عنوان حزب الله أكّدت على هـــذا الوجه الآخر، فقالت: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾.[1]

وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام ورد: «كل من لم يحب على الدين، و لم يبغض على الدين فلا دين له».[2]

إنني أغضب وأبغض، لماذا؟

لله، ومن أجل الله.

لا لأجل قضيتي الشخصية!

لا لاجل قضية القبيلة، أو القومية، أو الفئة التي ارتبط بها.

إنما لأجل قضية الله، ورسالة الله، لأن جماعتي وفئتي والكتلة التي أنتمي اليها هي تلك الكتلة الواسعة، العريضة، كتلة حـــزب الله، فليس لي أن أبغض إلاّ من يخرج عن هذه الفئة ويـــدخل في فئـــة (حزب الشيطان).

أما إذا لم يكن بغضي في الله، و لم يكن بغضي لأتباع الشيطان، إنما كان لأناس هم من حزب الله أيضاً، وهم من خندق الإيمان لا

[1]- سورة المجادلة _ ٢٢.

[2]- أصول الكافي _ ج ٢- باب الحب في الله والبغض في الله _ ص ١٦.

خندق النفاق، فمعنى ذلك أنـــني لم أصـــدق في إخلاصـــي لله، وتوحيدي له، اذ قد اتخذت مقياساً آخر، وأشركت مع الله نداً من الأنداد.

الانسان الـــ (حزب اللهي) هو ذلك الذي يبغض كل من يقع في جهة (حزب الشيطان)، أما الواقعون في جهة (حزب الله) مهما اقتربوا منه أو ابتعدوا، مهما وافقوه في رأيه أو خـــالفوه، مهمـــا ارتبطوا معه بتنظيم أو لم يرتبطوا، قلدوا نفس المجتهد الذي يقلّـــده أم لا، كل هؤلاء هو يحبهم ولا يبغضهم.

وبهذه السعة، والانفتاح، يكون الفلاح الذي أشارت إليه الآية الكريمة ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

بهذه الروح نستطيع أن نوحد صفوفنا، نستطيع أن نكسب محبة المؤمنين، نستطيع أن نضمن تعاون خواننا معنا، مؤازرتهم لنا، نستطيع أن نجعلهم يحسنون الظن بنا، ونستطيع من خلال كل ذلك أن نحقق أهداف الله، ورسوله، وذلك هو الغلبة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

* * *




الفصل الرابع

الخوف من الله جل جلاله

- الخوف والطاعة
- عدم الخوف من غير الله
- ألوان التخوّف المرفوض
- التخوّف من الحشود المضادة
- التخوّف من المقاطعة
- التخوف من التسقيط الاجتماعي




والانعكاس الثاني لولاء الله تبارك وتعالى هو الخوف منه.

فالانسان المؤمن هو ذلك الانسان الخائف من الله تعالى، والإنسان المنافق الجاحد هو ذلك الانسان الذي لا يبالي بمقام ربه وشهادته عليه.

والقرآن الكريم يضع مقابلة بين المؤمن وغيره على أساس هذا الخوف فيقول:

﴿فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾. [1]

إذن فحزب الله هم أولئك الذين عرفوا الله فخافوه، بينما حزب الشيطان هم أولئك الذين لم يعرفوا الله فلم يخافوه، و لم يأبهوا لمقامه الرقيب عليهم، ولا يمكن للإنسان أن يكون عارفاً بالله، ثمّ لا يترجم هذه المعرفة إلى عمل، إن قيمة هذه المعرفة هي بمقدار ما تنسحب على علاقته النفسية والعملية مع الله تبارك وتعالى.

---

[1] - سورة النازعات _ ٤٠.

والحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا».[1]

إن هذا الخوف هو لازم من لوازم المعرفة بالله.

الانسان الذي يعرف أنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلاّ بما شاء الله.

الانسان الذي يعرف أن مبدأه من الله، ومرجعه إلى الله.

الانسان الذي يعرف أنه إنما يقوى على الطاعات، ويعمل الصالحات، بمعونةٍ من الله تعالى.

الانسان الذي يعرف أن الله هو الساتر عليه في الدنيا والساتر عليه في الآخرة.

الانسان الذي يعرف أنه إذا تخلى عنه الله، وتركه لنفسه، والى الناس، فإنه سيضل ويهوى.

الانسان الذي يعرف أن رضوان الله أكبر من كل هذه الحياة، وأن كل نعيم وخير في هذه الحياة هو رشحة من رشحات ذلك الرضوان وتلك الرحمة الإلهية.

مثل هذا الانسان يكون خائفاً من الله، مراعياً لمقام ربّه عليه.

* * *

[1] - أصول الكافي _ ج٢- باب الخوف والرجاء.

هنا نريد أن نسأل:

ممّ يخاف الانسان المؤمن؟ ولماذا؟

لماذا كلما ازدادت معرفته بالله كان أكثر خوفاً؟

ولماذا يكون الانسان الـ (حزب اللهي) رغم إيمانه، وطاعته، وصلاحه خائفاً من الله (عزّ اسمه)؟

الحقيقة أن الخوف من الله تبارك وتعالى ليس من كثرة الذنوب، وإنما المعرفة بالله هي التي تكشف للانسان مدى حقارته، وفقره، وتقصيره، وعدم حيائه من الله تعالى.

ثم المؤمن يخاف مقام ربّه حينما توسوس له نفسه بالمعصية، هنا يتراجع ويحجم المؤمن عن المعصية بينما يتقدم من طغى وآثر الحياة الدنيا.

الانسان المؤمن يخاف من مكر الله، يخاف من سوء العاقبة، يخاف من التورط بالذنوب التي تغير النعم، يخاف من أن يتركه الله إلى نفسه وإلى الناس، لذا ورد في الدعاء عن الإمام الحسين (عليه السلام):

«وإلى غيرك فلا تكلني، إلهي إلى من تكلني؟ إلى قريب فيقطعني، أم إلى بعيد فيتجهمني، أم إلى المستضعفين لي وأنت ربي ومليك أمري».[1]

يخاف أن يتركه تعالى إلى نفسه، وحينئذٍ فسوف يضل، لأن الشيطان (ابليس) عبد الله ثلاثة الآف عامٍ، ثم تركه الله إلى نفسه لحظةً واحدة فضلّ فيها على ما ورد في بعض الروايات.

الانسان المؤمن بين مخافتين: «ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلاّ خائفاً، ولا يمسي إلاّ خائفاً، ولا يصلحه إلاّ الخوف».[2]

وهكذا في رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو».[3]

إذن فالولاء لله تبارك وتعالى الذي هو خاصية حزب الله كما تفيد الآية الكريمة، لابد أن يتمثل بخوف الانسان من الله.

1- دعاء عرفة _ للإمام الحسين عليه السلام _ انظر مفاتيح الجنان.
2- أصول الكافي _ ج٢- باب الخوف والرجاء.
3- المصدر السابق.

فمن يريد أن يكون من حزب الله، من عباد الله الصالحين، ممن يسكنون غداً في جوار الله تعالى، لابد أن يراجع نفسه، ومدى خوفه من الله عزوجل.

إن العلاقة بيننا وبين الله هي علاقة ذات طرفين، ونحن إذا أردنا حقيقةً أن يكتبنا الله في حزبه، ويحشرنا في جواره، ويرزقنا رضوانه، فإن علينا أن نحقق في أنفسنا اللياقة لهذا المقام العظيم.

وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام: «من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب».[1]

* * *

الخوف والطاعة

ما هي طبيعة هذا الخوف؟

وبأي شكل يكون الانسان الـ (حزب اللهي) خائفاً من الله تعالى؟

1- تحف العقول _ وصايا أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا السؤال يجيب عنه الإمام الصادق (عليه السلام) حين قيل له «إن قوماً من مواليك يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو.

فقال (عليه السلام): كذبوا ليسوا لنا بموالي، أُولئك قوم ترجحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه».[1]

وهكذا أيضاً في رواية أُخرى عنه (عليه السلام): «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو».[2]

اذن فالخوف من الله تعالى هو ذلك الذي يدعو إلى الطاعة، إلى العمل بما يرضي الله، إلى اجتناب معاصيه، إلى الهروب من الذنوب، إلى الوقوف بوجه مغريات هذه الحياة الدنيا، وعدم الانغماس فيها. بينما حزب الشيطان هم أولئك الذين يؤثرون هذه الحياة الدنيا، وينغمسون في لذاتها المؤقتة تاركين وراءهم رضوان الله تعالى، وغير عابئين بغضبه عليهم.

وكما قرأنا في الحديث السابق:

«من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»

[1]- أصول الكافي _ ج ٢- باب الخوف والرجاء.
[2]- المصدر السابق.

إن الخوف من الله تبارك وتعالى، هذا الخوف المطلوب والذي هو من خاصيات المؤمن، من خاصيات حزب الله، هو ذلك الخوف الذي يدعوهم للطاعة، ويقربهم أكثر إلى الله (عزّ اسمه)، والاحتماء بجواره، وطلب رضوانه.

ولذا فإن الانسان (الحزب اللهي) هو الانسان المطيع لله تعالى كما سنقرأ فيما بعد.

* * *

عدم الخوف من غير الله

هنا موضع الإختبار!

هنا يعرف الانسان أنه من حزب الله حقيقةً أم لا!

الانسان الــ (حزب اللهي) يخاف من الله وحده، ولا يخاف مما عداه، مهما كان، ومهما اشتد، ومهما كلفه ذلك.

الخوف من الله وحده لأنه وحده هو الهدف، وهو المثل الاعلى، وهو غاية هذا الانسان، لا مما سواه لإنه لا شيء سوى الله هو هدف الانسان الذي يفترض نفسه من حزب الله.

ومن هنا فإن الانسان الحزب اللهي هو ذلك الانسان المقدام، الشجاع، الذي لا يهاب الصعاب، والذي يهون عنده كل شيء في سبيل الله.

الانسان الحزب اللهي هو الذي لا يتلكأ، ولا يتراجع، ويصمد أمام التهديد، أمام التخويف، أمام الشدائد.

* * *

ألوان التخوّف المرفرض

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الخاصية في حزب الله، ويعرض صوراً من التخوف المرفوض الذي لا ينبغي أن يكون لدى الانسان المؤمن.

التخوّف من الحشود المضادة

يقول الله تبارك وتعالى في وصف أُولئك الذين استجابوا لله ورسوله، أولئك الذين تولّوا الله والرسول، يقول الله تعالى فيهم:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[1]

مقابل هذه الحشود المضادة الانسان الحزب اللهي لا يخاف، بل يتقدم، ويتوكل على الله ويقول: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.[2]

إن التخوف من هذه الحشود هو من صفة حزب الشيطان، وأولياء الشيطان، الذين لم يرتبطوا بالله، وأفئدتهم هواء، هؤلاء قال فيهم الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[3]

القرآن الكريم يستعرض لنا قصة أصحاب موسى عليه السلام الذين دخلوا في حزب الله، ورفضوا الشيطان وحزبه. أُولئك الذين قال لهم فرعون: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي

---

[1]- سورة آل عمران _ ١٧٣.
[2]- سورة التوبة _ ١٢٩.
[3]- سورة آل عمران _ ١٧٥.

الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.[1]

أمام هذا التهديد ماذا كان جواب هؤلاء الثلّة القليلة، من اتباع موسى؟

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.[2]

هؤلاء هم حزب الله.

هؤلاء الذين قالوا ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ هم الذي عبروا عن روح الانسان المنتمي إلى الله، والواقف في صفوف حزب الله.

اذن حزب الله لا يتخوف من الحشود المضادة، انما من الله وحده.

والتخوف من الحشود المضادة بأي شكل كانت هو تخوّف مرفوض، لا يتسم به الانسان الحزب اللهي.

التخوف من المقاطعة

[1]- سورة الأعراف _ ١٢٣ و١٢٤.
[2]- سورة الأعراف _ ١٢٥ و١٢٦.

والمؤمن الذي يتولى الله تبارك وجهه، ويرجو رضوانه، ويجعل نفسه في صفوف حزب الله، مثل هذا المؤمن لا يخشى أن يقاطعه الأعداء، ويبتعدون عنه، لا يخشى من الوحدة في سبيل الله، ولا يستوحش من طريق الحق وإن تركه الأبعدون والأقربون.

ونحن نعلم أن من الوسائل التي يتبعها الأعداء في محاربة المؤمنين أشخاصاً أو أمةً هي المقاطعة، سواء السياسية أو الاقتصادية.

لكن (حزب الله) فرداً أو أمةً لا يأبه لهذه المقاطعة، ويمضي في طريقه سوياً.

القرآن الكريم يتحدث عن موقف الكفار من المؤمنين الذي اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.[1]

وهذا هو ما يسمى اليوم بالمحاصرة الاقتصادية، لكن الأمة المؤمنة، أمّة حزب الله، وهكذا أفراد حزب الله جميعاً لا يبالون بمثل هذه المقاطعة بكل صورها، ولا تخوفّون منها.

[1]- سورة المنافقون _ ٧.

وهنا نتذكر موقف الرسالي العظيم مثال (حزب الله) ونموذج الانسان الحزب اللهي أبي ذر الغفاري الذي أبى أن يسكت وهو يرى التلاعب بأموال المسلمين، وأحكام الإسلام، وكان أن نُفي إلى الربذة، هنا نتذكر وصية أمير المؤمنين عليه السلام له حين أقبل يودّعه قائلا:

«يا أبا ذر، إنك غضبت لله فأرجُ من غضبت له، إن القوم خافوك على دُنياهم، وخفتهم على دينك... يا أبا ذر لو أن السماوات والأرضين كانتا على عبدٍ رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً.

«لا يؤنسنك إلاّ الحق، ولا يوحشنّك إلا الباطل».[1]

التخوف من التسقيط الاجتماعي

وأحد السبل التي يتّبعها الأعداء والخصوم في عملية الصراع السياسي مع تيار الإيمان وأبناء حزب الله هو محاولة تسقيط شخصيات هذا التيار، وبث التهم والشائعات عليها من أجل تفريق الناس عنها وتركها لوحدها في الساحة.

[1]- نهج البلاغة _ الخطبة ١٣٠.

حينما يعجز الأعداء من الكافرين والمنافقين والفاسقين عن صد موج الإيمان، حينما يعجزون عن مواجهته من خلال البحث الحر، والمناقشة العلنية، حينما لا تتيح لهم الفرصة إعلان الحرب المسلّحة، فإنهم يلجؤون دائماً لنمط آخر من الحرب هو الحرب الاجتماعية، في محاولة لتسقيط الموجة الدينية اجتماعياً، وعزلها عن جسم الأمة، وجماهيرها.

لقد لاحظنا على مدى تاريخ الأنبياء، كيف كان خصوم الأنبياء يشنّون عليهم حملة إعلامية من أجل تفريق الناس من حولهم.

إن كل الأنبياء واجهوا مختلف عمليات الازدراء، والاستهانة، والتحقير، والاتهام، وبث الشائعات. وكل الأنبياء وأتباع الأنبياء صمدوا أمام هذا النوع من الحرب.

لقد قالوا عن خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله أنه ساحر، وأنه مجنون، وأنه إنما يتعلم القرآن من رجل أجنبي، وسطروا له صنوف التهم هو وأتباعه.

لكن ما هو موقف الانسان المؤمن أمام هذه الشائعات؟

ما هو موقف الانسان الذي يريد وجه الله وحده لا يريد سواه؟

ما هو موقف من يعرف أن الله تعالى هو مولاه وسيده والوكيل به، ولو سخط عليه كل الناس؟

إن موقف الرسل وأتباع الرسل وكل أبناء حزب الله أمام هذه الحرب اللا أخلاقية هو الصمود والمضي إلى آخر الطريق، وعدم خشية أي أحد سوى الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾.[1]

ويؤكد القرآن الكريم في وصف المؤمنين على خاصية أنهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾.[2] هذه الخاصية مهمة جداً من حيث أن الاعداء يلجؤون دائماً إلى عملية توجيه اللوم، والإهانة، ومحاولة خلق جو من الإحراج الاجتماعي، كل ذلك بغرض صد العاملين عن العمل، وبغرض محاربتهم نفسياً حتى يتراجعوا عمّا هم ماضون فيه.

* * *

[1]- سورة الأحزاب _ ٣٩.
[2]- سورة المائدة _ ٥٤.

ومن الجدير أن نشير إلى أن الائمة عليهم السلام وقد كانوا يومها هم وأتباعهم مستهدفين بمثل هذه الحرب علّمونا ما هو الموقف أمام هذه الاتهامات والشائعات.

يقول الإمام الباقر عليه السلام في وصيته لواحد من أتباعه وهو جابر بن يزيد الجعفي:

«وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جلَّ وعز عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة ممّا خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك».[1]

المهم اذن هو أن تكون كما أراد الله تعالى منك، أما ماذا يقول الناس، وما هي الاتهامات والأقاويل التي يبثونها فلا عليك منها شيء.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«واعلم أنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك...».[2]

[1]- تحف العقول _ ٢٠٦.
[2]- المصدر السابق.

إن (الولاء) لله، والرسول، والذين آمنوا، يفرض على الانسان الـــ (حزب اللهي) أن يتحمل هذه الضريبة، ويصمد أمام هذه الحرب اللا أخلاقية، في الوقت الذي يراجع نفسه ليرى هل هو سائر في طريق مرضاة الله تعالى أم لا؟

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أيها الناس اعلموا أنه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه».[1]

وهنا نوّد أن نستطرد قصة طريفة في زمن الإمام الرضا (عليه السلام): القصّة تتحدث عن يونس بن عبد الرحمن وهو أبرز أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) وكان وكيله وخاصتّه، وتحدّث بعض الروايات أن الرضا (عليه السلام) ضمن ليونس الجنّة ثلاث مرات، وكان (عليه السلام) يُرجع الناس إليه لأخذ معالم الدين.

هذا الرجل العظيم كان محلاً لطعن العديد من أصحابه فيه، وكثرت عليه الشائعات، والشكوك والظنون.

[1]- تحف العقول _ ١٤٤.

تتحدث القصة أن يونس بن عبد الرحمن كان عند الإمام الرضا (عليه السلام) إذ دخل عليه جماعة من أهل البصرة، فأشار الإمام إلى يونس أن يدخل وراء الستر ولا يتحرّك.

فدخل البصريون وأكثروا الوقيعة والقول في يونس وعرضوا على الإمام صنوف التهم والشائعات ضد يونس، والإمام (عليه السلام) مطرق برأسه، فلما قاموا وانصرفوا أذن ليونس بالخروج، فخرج باكياً، فقال:

جعلني الله فداك، أنا أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي، فقال له الإمام (عليه السلام):

يا يونس فما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً،... ما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درّة ثم قال الناس بعرة، أو بعرة وقال الناس درّة، هل ينفعك ذلك شيئاً؟

فقال لا.

قال (عليه السلام):«هكذا أنت يا يونس، إذا كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس».[1]

* * *

[1]- رجال الكشي _ أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام).

وأحياناً يلجأ خط الانحراف، وأعداء حزب الله إلى اتهام المؤمنين بعدم الفطنة، وعدم الخبرة، وعدم الوعي، وأنهم من حقراء الناس، الذين لا قيمة لهم اجتماعياً.

يتحدث القرآن الكريم عن نوح (عليه السلام) وكيف واجهه الكافرون:

﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.[1]

وهكذا قال الكافرون لرسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.[2]

وطلبوا منه أن يُبعِدَ عنه هؤلاء المستضعفين من حزب الله ويطردهم.

إن هذا الطلب واجهه كثير من الأنبياء، ولعله كل الأنبياء، ولكنهم جميعاً رفضوا هذا الطلب، وأتباعهم صمدوا أمام هذا التحقير الاخلاقي.

1- سورة هود _ ٢٧.
2- سورة الزخرف _ ٣١.

قالوا لنوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

والله تبارك وتعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وآله قائلا:

﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.[2]

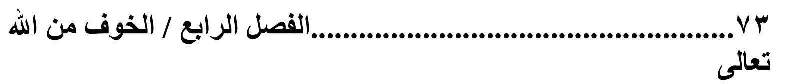
* * *

إذن فعلامة الولاء لله، والانسان الذي هو من حزب الله أن لا ينهار ولا يتراجع أمام الأقاويل والشائعات التي يبثها عليه الخصوم.

إن الانسان الـــ (حزب اللهي) هو ذلك الذي يتعلم من تجربة الأنبياء، قادة حزب الله، كيف صمدوا هم وأتباعهم أمام هذا النمط من الحرب الشديدة الصعبة.

ولأن هذه الحرب شديدة، وقاسية فإن هناك من لا يصمد، هناك من يتراجع، هناك من ينهزم في وسط الطريق، ولا يسير قدماً باتجاه مرضاة الله.

1- سورة الشعراء _ ١١١ إلى ١١٤.
2- سورة الأنعام _ ٥٢.



القرآن الكريم يتحدث عن هذا النمط من الناس من الذين آمنوا لكن في قلوبهم مرض فيقول:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾.[1]

هؤلاء يخشون سيوف الناس، ولوم الناس، ونسوا أن الله تعالى هو هدفهم ومقصدهم وليس الناس.

إن معنى الولاية لله تعالى التي هي قاعدة حزب الله أن يكون الله هو الهدف وليس الناس.

* * *

[1]- سورة النساء _ ٧٧.



الفصل الخامس

الثقة بالله جل جلاله

- تفاوت درجات الايمان على أساس الثقة
- مجالات الثقة بالله جل جلاله
- الأصالة
- الاستقامة
- شرعية الوسائل

وتولي الله تبارك وتعالى كما يعـــني حـــب الله، وخـــوف الله، كذلك يعني الثقة بالله عز وجل.

فالانسان الذي يرتبط بالله، ويعطي ولاءه له، وينتمي إلى الله تبارك وتعالى ليكون من حزبه، مثل هذا الانسان لا بد أن يكون واثقاً به.

إن الثقة بالشيء هي مدلول طبيعي للولاء له، فكل من تولى شيئاً، وربط نفسه به، وعقد قلبه على حبه، فإنما لثقته به.

إن من يتولى صديقاً من الأصدقاء، أو عالما من العلماء، ماذا يعني توليّه له؟ أو بالأحرى مـمَّ نشأ هذا الولاء؟

إنه نشأ من الثقة بصداقته وإخلاصه، ومعونته، نشأ من الثقة بعلمه وعدله وخبرته وإخلاصه في بيان الحقيقة بعد التعرف عليها.

وهكذا من يتولى جباراً من الجبابرة، وملكاً من الملوك، فإن ذلك ناشيء من الثقة بقدرة ذلك الملك، وتقديمه العون اللازم في ساعات العسر...

ونفس الشيء أيضاً حينما تمنح هذه الولاية للشرق أو الغرب، لأمريكا الغربية، وروسيا الشرقية، إن هؤلاء الذين يوالون الشرق أو الغرب يعبّرون عن ثقتهم بقدرات الشرق والغرب، وحضارة الشرق والغرب، وجمال الحياة الشرقية أو الغربية.

أما المؤمنون الذين يتولون الله، هؤلاء الذين سمّتهم الآية الكريمة بـــ (حزب الله)، هؤلاء لا يثقون بسوى الله تبارك وتعالى.

وسوف نرى أن هذه الثقة بالله تنعكس على القضايا والمواقف الشخصية كما تنعكس على القضايا السياسية والدولية أيضاً.

تفاوت درجات الإيمان على أساس الثقة

والثقة بالله هي المحتوى الحقيقي للإيمان، وإيمان بلا ثقة ليس بإيمان.

من هنا فإن المؤمنين يتفاوتون في درجة الإيمان على أساس درجة ثقتهم بالله تبارك وتعالى.

إن أعلى درجة من درجات الإيمان هي اليقين، كما تحدثنا عن ذلك قبلاً.

واليقين هو الثقة المطلقة.

عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: ــ

«الإيمان فوق الاسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسَّم بين العباد شيء أقل من اليقين».[1]

أمّا حقيقة هذا اليقين الذي قلنا أنه الثقة المطلقة بالله تعالى فيشرحه لنا الحديث الشريف المنقول عن الإمام الصادق عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد...

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً.

فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله. وقال: إن لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟

فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي، وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني انظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون

---

[1]- أصول الكافي ــ ج٢- باب فضل الإيمان على الإسلام.

وعلى الأرائك متكؤون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون. وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان».[1]

إن هذه الدرجة من الثقة العالية التي لا تقبل الشك، والرؤية الواضحة للغيب حتى كأنه عالم مشهود، إن هذه الدرجة هي التي حدّث عنها أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين حين قال: «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون».[2]

بينما نجد أن هذه الدرجة من الثقة مفقودة لدى كثير من المؤمنين، ومن هنا ذكر الحديث الشريف أنه لم يقسّم بين العباد شيء أقل من اليقين.[3]

* * *

إن (حزب الله)، هم الذين يثقون بالله تبارك وجهه، لذا فقد رفضوا الانتماء إلاّ إليه، والارتباط إلاّ به، فكل ما عداه وهم،

1- أصول الكافي _ ج٢- باب حقيقة الإيمان واليقين.
2- نهج البلاغة _ الخطبة رقم ١٩٣.
3. أصول الكافي _ باب اليقين.

وكل ما عداه وسيلة إليه لا أكثر، أمّا الهدف، أما المعبود، أما الحقيقة كلها فهي الله، و﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.[1]

إن الآية الكريمة التي تحدثت عن حزب الله، أشارت إلى هذا الحصر، إلى هذه الوحدانية في الثقة، وفي الارتباط، فقالت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ يعني لا وليّ لكم سواه.

أمّا الولاء للرسول صلى الله عليه وآله والذين آمنوا فهو تابع للولاء لله، وليس مستقلاً في نفسه كما سنعرف إن شاء الله تعالى.

* * *

مجالات الثقة بالله (جلّ جلاله)

في أي مجال نثق بالله تعالى؟

وحزب الله حينما تولّى الله تعالى ولاءاً مطلقاً، ورفض الولاء لغيره، عن أي ثقة كان يعبر؟ وفي أي مجال؟

إن ثقتي بالشخص (س) أو بالقضية (د) دائماً لا تكون ثقة إلاّ في جانب من الجوانب، وفي زاوية من الزوايا.

فأنا مثلاً أثق بعلمه، لكن لا أثق بشجاعته.

1. سورة النساء _ ١٢٦.

أو أثق بإخلاصه، ولكن قد لا أثق برجاحة رأيه.

أو أثق بأدبه وشعره، ولكن لا أثق بفلسفته وفكره. وهكذا دائما ثقتنا بكل شيء في هذه الحياة الدنيا هي ثقة محدودة، وخاصة في جانب أو اثنين أو ثلاثة، ولا تمتد إلى كل الجوانب.

أما ثقتنا بالله فهي تستوعب كل الجوانب والمجالات، ومن هنا فقد حصرنا الولاء به وحده لا شريك له.

الثقة بقدرته، والثقة بعلمه ورقابته واطّلاعه علينا، والثقة بنصره ومساعدته، والثقة بحكمته وعدالته، والثقة بلطفه ورحمته.

* * *

أ ــ الثقة بقدرته

نحن نثق بقدرته التي علت فوق كل شيء، هذه القدرة التي لا يعجزها شيء في الارض ولا في السماء، هذه القدرة التي تقول للشيء كن فيكون، هذه القدرة التي تتجاوز الأسباب والعلل الطبيعية وتحكم عليها.

يتحدث المؤرخون: أن رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد المعارك ابتعد عن أصحابه بينما كان أحد الأعداء يرصده ويتربص به.

وابتعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم استلقى للراحة، وما كان من ذلك العدو إلاّ أن أقبل اليه على حين غفلة، وجلس على صدره شاهراً سيفه قائلاً: من ينقذك مني يا محمد؟

انظروا إلى هذه الثقة المطلقة، إلى اليقين الذي ما بعده يقين، لقد قال له الرسول صلى الله عليه وآله بكل اطمئنان: الله!

وتذكر الرواية أن هذا الشخص ارتعد، وسقط السيف من يده، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أن قام، وطرحه أرضاً، شاهراً عليه السيف قائلاً:«والآن من ينقذك مني» و لم يكن من هذا الرجل إلاّ أن أسلم قائلاً: «أشهد ألاّ إله إلاّ الله، محمد رسول الله».[1]

وينقل المؤرخون عن خليل الله إبراهيم عليه السلام حين أُلقي به في النار، فبينما هو يهوي إذ أقبل إليه جبرئيل من عند الله قائلا: يا إبراهيم: ألك حاجة؟

---

[1]- **بحار الأنوار ــ حياة النبي صلى الله عليه وآله.**

ولم يكن أحد يومذاك أشدّ حاجة من ابراهيم، والنار توشك أن تلقفه، لكنه ماذا قال؟ قال لجبرئيل: أمّا اليك فلا![1]

لأن الله تعالى وحده هو القادر على إنقاذ إبراهيم، أمّا هذا الملك فهو واسطة لا أكثر، والله تعالى قادر على أن ينقذه بلا واسطة، أن يقول للنار ﴿كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾ .[2]

* * *

ب _ الثقة بحضوره

ونحن نثق بحضوره معنا، وعلمه بسرائرنا، وسماعه لدعائنا ومناجاتنا، وأنه أعلم بنا من أنفسنا، وأقرب الينا من حبل الوريد.

ولأنه حاضر معنا، ويشهد حالنا، فإننا نثق بعونه ونصره وعدم تخليّه عنا، حتى لو انقطعت بنا كل السبل، وتخلى عنا كل الناس، بل وإننا لنقطع الثقة والأمل بكل أحد سواه، وبكل سبيل من السبل المادية.

وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلاّ أعطاه فلييأس من الناس

[1]- انظر تفسير الميزان _ ج ١٧ـ ص ٣٠٨.
[2]- سورة الأنبياء _ ٦٩.

كلهم، ولا يكون له رجاء إلاّ من عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلاّ أعطاه».[1]

* * *

ونؤثر هنا أن ننقل قصتين من تاريخ الأنبياء عليهم السلام يعبران عن درجة الثقة العظيمة بالله تبارك وتعالى، وحضوره، وشهادته، وتدخله في مسيرة الايمان.

الاولى: قصة موسى عليه السلام حين طارده فرعون وجنوده، وانتهوا إلى البحر، وأغلق عليهم طريق الفرار. هنا انقطعت كل السبل، وهنا قال أصحاب موسى عليه السلام: «إنا لمدركون» لكن موسى عليه السلام وهو نبي الله وكليمه قال: ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ .[2]

إنها كلمة تعبّر عن غاية في الثقة لا يمكن أن تشرحها العبارة، البحر من أمامهم، والعدو من ورائهم، وهم يعلمون أن لا قدرة لهم على مواجهة جيش فرعون، إن كل ما حولهم يقطع الأمل، وما هو إلاّ الإبادة أو التسليم، أو يلقوا أنفسهم لتتلقفهم أمواج

[1]- الأخلاق _ لسيد عبد الله شبر _ ٢٨٤.
[2]- سورة الشعراء _ ٦٢.

البحر، ومع ذلك فقد قال موسى بعزم عجيب ﴿كَلاَّ، إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ .

* * *

والقصة الثانية قصة نوح عليه السلام وهو ﴿يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾.[1]

حقاً إن موقف نوح عليه السلام وهو يصنع الفلك، بينما ليس هناك بالرؤية المادية ما يفسر ذلك، حقاً إنه موقف يدعو لسخرية الأعداء الجهلاء!

وماذا يستطيع أن يجيبهم اذا سألوه؟

وبأي وجه معقول يستطيع أن يفسّر هذا العمل؟

وكيف يردّ السخرية؟

بل وكيف لا يتردد هو عن هذا العمل الغريب المحيّر؟

انظروا ماذا قال:

﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.[2]

---

[1]- سورة هود _ ٣٨.

[2]. سورة هود _ ٣٨.

هذه هي الثقه بقدرة الله، وبعلم الله، وحضور الله معنا، وتدخلّه في شؤون عباده.

* * *

إن حزب الله فرداً أو أمةً يثق دائماً وحقيقة بأن الله معه، وطالما هو معه فإنه ناصره لا محالة اليوم أو غداً.

وهذه الثقة بالله تبارك وتعالى هي التي تمكن أمة الاسلام، أمة حزب الله من الثبات والاصرار والاستقامة أمام كل الزعازع، وتمنحها القدرة على الصمود أمام المقاطعات الاقتصادية، والعسكرية التي تمارسها دول الاستكبار العالمي.

إن هذه الثقة بالله تعالى هي التي مكنت المسلمين زمن الرسول صلى الله عليه وآله من الصمود ثلاثة أعوام في الشعب حيث قررت قريش مقاطعتهم كاملاً.

وهذه الثقة بالله هي التي مكنت الرسول صلى الله عليه وآله وأمّة الرسول، من إعلان استقلالها عن امبراطورية القياصرة، وامبراطورية الأكاسرة، بل ومحاولة جر هاتين الامبراطوريتين إلى رسالة الاسلام.

وهذه الثقة عينها هي التي مكنت الجمهورية الإسلامية في إيران _ شعباً ودولةً _ من الصمود أمام تآمر الشرق والغرب، وهي تعلن على الدوام رفضها للشرق والغرب معاً، في الوقت الذي لا يصدق أحد بأن القدرات المادية التي تملكها الجمهورية الإسلامية كافية للدخول في مواجهة سافرة مع الشرق والغرب.

إن هذه الثقة بالله هي التي دعت الإمام الخميني رحمه الله يقول في اليوم الأول من العدوان الصدامي على ايران، «الخير فيما وقع» ولولا ذاك كان شبح الهزيمة النفسية واضحاً في وجوه العديد العديد من مسؤولي الدولة السياسيين والعسكريين.

إن أمة حزب الله هي الأمة الواثقة بنصر الله، وبحضوره معها، هذا الحضور الذي لا ينقطع عنها، ولا يمكن أن يخذلها.

* * *

وهذا الشيء يقال عن الفرد الــ (حزب اللهي)، فهو ذلك الانسان الذي يثق بأن الله معه أينما كان، وأن الله تعالى لن يخذله، ولن يتخلى عنه، ومن هذه الثقة يستمد العزم والتصميم والثبات.

الانسان الــ (حزب اللهي) لا يستوحش من طريق الحق حتى لو كان وحده، لماذا؟

لأنه من حزب الله، ولأن الله هو ناصره ومؤيده، وحاشا الله أن يترك عبده لوحده ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.[1]

إن الكثرة العددية بالنسبة للانسان الــ (حزب اللهي) ليست ميزاناً، ولا يهمه أن يكون معه أحد أو لا!

وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام:

«لو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً».[2]

جــ _ الثقة بالمنهج الالهي

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.[3]

الثقة بعلم الله تبارك وتعالى تدعو حتماً للثقة بشريعته ودينه.

ومن هنا فإن الانسان المؤمن الــ (حزب اللهي) هو الذي يثق ثقة مطلقة بأن شريعة الله لا تخطيء، وأن كل ما اختار الله فيها من

---

[1]- **سورة الزمر _ ٣٦.**
[2]- **نهج البلاغه _ الخطبة ١٣٠.**
[3]- **سورة الانعام _ ١٥٣.**

حرام، وحلال، وواجب، فهو في مصلحته ولخيره، لأن الله يعلم ما لا تعلمون.

الانسان الذي يتولى الله، ويكون من حزب الله تعالى، هذا الانسان لا يعترض على حكم الله، بل ولا يشك في صحته، وجدارته، ولا يتأخر لحظةً عن تطبيقه وامتثاله، حزب الله هم أولئك الذين ﴿لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.[1]

ومهما تقلبت الأيام والأحوال والحضارات والأزمان فإن حزب الله يعرفون «ان حلال محمد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد صلى الله عليه وآله حرام إلى يوم القيامة».[2]

ومن هنا فهم لا يستوردون شرائع ودساتير، ولا يتأثرون بقوانين الشرق أو الغرب، ولا يحيدون عن شريعة الله، ولا يتبعون السبل فتفرق بهم عن سبيله.

* * *

الأصالة

إن الثقة بالله تعالى التي هي روح الولاء له عزوجل، هذه الثقة تكون لدى الانسان الـــ (حزب اللهي) حالة الأصالة.

[1]- سورة النساء _ ٦٥.
[2]- بحار الأنوار ٢٦:٣٥.

الأصالة في تفكيره، الأصالة في فهم الدين، الأصالة في تقييم منهجه السياسي الاسلامي.

إن هناك فريقاً من الناس يؤمنون بالإسلام، لكن لا يملكون هذه الأصالة في فهمه، أو بالأحرى هم لا يملكون أصالة في الشخصية، ومن هنا فهم يلجؤون في فهم إسلامهم، وبناء منهج حياتهم الاجتماعيّة والسياسية والاقتصادية إلى عملية استيراد من الشرق والغرب، والتقاط من هنا وهناك، ويخلقون مزيجاً معقداً متناقضاً زاعمين أنه الإسلام.

إن هذه التبعية في فهم الإسلام ناشئة بالأساس من عدم الثقة بالنهج الإلهي، والتأثر بالاتجاهات المنحرفة الشرقية والغربية، وعدم الاطمئنان للإسلام المحمدي القرآني الأصيل.

أمّا (حزب الله) الذين تولّوا الله والرسول والذين آمنوا فهؤلاء يرفضون بشكل قاطع التبعية والحالة الاستيرادية، ويرفضون أي تمايل في المنهج إلى الشرق أو الغرب، لماذا؟

لأن القرآن الكريم علّمهم ﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.[1]

[1]- سورة الأنعام _ ١٥٣.

ولأن القرآن الكريم علّمهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً﴾.[1]

وعلى ذلك فإن حزب الله يريدون حضارة لا شرقية ولا غربية، وسياسة لا شرقية ولا غربية، ومنهج حياة لا شرقي ولا غربي، معتمداً على الإسلام، على الإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وآله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.[2]

* * *

الاستقامة

والثقة بالنهج الإلهي كما كانت تدعو إلى الأصالة، وعدم الوثوق بالمناهج الأخرى، كذلك فإن الثقة بالنهج الإلهي تدعو إلى الثبات والاستقامة أمام أمواج الفتن، أمام ظاهرة الانحراف التي قد تجر بعض الشخصيات المعروفة بإسلامها، وفهمها، وعمقها.

الانسان الــ (حزب اللهي) هو ذلك الانسان المستقيم. المستقيم دائماً مهما انحرف المنحرفون، وضل الضالون.

[1]- سورة المائدة _ ٥٠.
[2]- سورة البقرة _ ١٧٧.

المستقيم الذي لا يحيد عن دينه، ورسالته، ونهجه، مهما تقوّل المتقوّلون.

لماذا؟ لأن هذا الانسان المؤمن تولى الله تعالى، وهو لا يتولى أية شخصية أخرى، أو كيان آخر، أو جماعة من الجماعات إلاّ حيث تكون مع الله، وسائره طبق الموازين الإلهيّة، فلا يضعف إذن ولا يتزعزع موقف الانسان الــ (حزب اللهي) حينما ينحرف زيد أو عمرو، أو جماعة أ، أو جماعة ب، أو حزب س، أو حزب ص.

إن مثل هذه الانحرافات لا تقلق الانسان الحزب اللهي، ولا تدعوه للشك في موقفه، لماذا؟

لأنه من اليوم الاول لم يكن له ثقة مطلقة إلاّ بالله تعالى، أمّا الأشخاص والكيانات، الأحزاب، الجماعات، فهو لا يثق بها ثقة مطلقة، إنما ينظر اليها من زاوية الحق، فإذا حادت عن الحق فهي التي تسقط، وسرعان ما يتخلى عنها، ويتبرأ منها، ويستقيم على نهج الحق.

في التجربة الإسلامية الأُولى على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وجدنا كيف انحرف عدد من الشخصيات!! بل وانحرفت جماعات وجماعات، حتى كانت حروب دامية ضد مدينة علم النبي

صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومع ذلك فإن هذه الانحرافات لم تزعزع موقف حزب الله الأوائل من أمثال أبي ذر، وعمار، والمقداد، وسلمان الفارسي، وحجر بن عدي، ومالك الأشتر.

وفي التجربة الإسلامية الثانية المعاصرة (الجمهورية الإسلامية في ايران) وجدنا أيضاً كيف انحرف عدد من الشخصيات ذات الطابع الإسلامي وانحرفت جماعات، وأحزاب كانت تسبغ على نفسها أيضاً الطابع الإسلامي، وتتظاهر بالإسلام، وتصرخ للعدالة!

ومع ذلك فإن هذا الانحراف لم يزعزع موقف أمة (حزب الله) هذه الأمة التي عرفت الدين، ومقاييس الدين، وطريق التعرف على الدين.

هذه الأمة التي عرفت أن الدين لا يؤخذ من سوى ولي الأمر، المرجع الديني العادل الخبير الذي «الراد عليه كالراد على الله»، وحتى هذا المرجع هو الآخر محكوم لمقاييس القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والشعب يرتبط بهما قبل ارتباطه بالغير.

إن (حزب الله) لا يعطي قداسات بالمجّان، ولا يؤله سوى الله تبارك وتعالى، وكل أحد سوى الله قابل للانحراف إلا من عصم الله تبارك وتعالى، وهو الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة (عليهم السلام).

إن (حزب الله) لا يقدّس إلاّ من محصته التجارب وأثبت أنه ولي من أولياء الله.

إن (حزب الله) لا يقدّس شخصيات مجهولة، أو قيادات مجهولة، مهما منحت من ألقاب وعناوين وهمية.

وحزب الله لا ينخدع بالعناوين والألقاب.

لا ينخدع بتسطير الأمجاد، والنضالات، ولا بإعطاء عناوين خالية من محتوى.

إن الاستقامة في حزب الله هي مدلول من مداليل الثقة المطلقة بالنهج الإلهي.

* * *

شرعية الوسائل

وحيث نثق ثقة مطلقة بالنهج الإلهي، والشريعة الإلهية، فإننا نثق بذلك أهدافاً، ووسائل.



إن الانسان الــ (حزب اللهي) كما يطلب دائماً أن تكون الأهداف شرعية، كذلك يطلب لتحقيق أهدافه وسائل شرعية.

فهو لا يتذرع لتحقيق أهدافه بأية وسيلة كانت، وحين تنهى الشريعة الإسلامية عن استعمال الكذب، والتهمة، والفتنة، والظلم، والخيانة، فإن الانسان الحزب اللهي يمتنع عن ممارسة هذه الأمور.

إن مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) غير معترف به على إطلاقه، ومن هنا فإن ممارسات (حزب الله) تختلف عن ممارسات غيره من الأحزاب.

إن حزب الله يثق بالوسائل التي رسمتها الشريعة له ولا يتعداها، وقد يجد أحياناً كثيراً من الاحراج والصعوبات، لكنه يتحمل، ويصمد، ولا يتورط في ممارسات غير شرعية، والحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام يقول:

«ما ظفر من ظفر بالإثم، والغالب بالشر مغلوب».[1]

وهذه النقطة سنستوفيها بشرح أكثر _ ان شاء الله تعالى فيما بعد.[2]

* * *

---

[1]- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٢٠٤.

[2]- يمكن مراجعة كتابنا (المذهب السياسي في الاسلام) فصل مبادئ السياسة الاسلاميّة.





الفصل السادس

اطاعة اللّه جل جلاله

- الاطاعة في السَراء والضراء
- الاطاعة في التكاليف الصغيرة والكبيرة
- الطاعة لله وحده
- لا يُطاع الله من حيث يُعصى



لحد الآن كنا نتحدث عن البعد النفسي لولاء الله تبارك وتعالى الذي قلنا أنه صفة حزب الله.

وقد ذكرنا في هذا المجال حب الله، وخوف الله، والثقة بالله، والآن علينا أن نبدأ بشرح البعد العملي للولاء، فقد قلنا منذ البداية إن الولاء لله عزوجل ينشأ من إيمان به تعالى، ثم هذا الإيمان النظري ينعكس على القلب ليخلق نمطاً خاصاً من العلاقة النفسيّة هي الحب، والخوف، والثقة، ثم ينعكس من هذا المجال القلبي إلى ساحة العمل، فيكوّن للإنسان المؤمن الحزب اللهي طبيعة خاصة من العمل، ونهجاً خاصاً في السلوك، وطريقة معينّة في التعامل السياسي والاجتماعي.

* * *

إن أول تلك الانعكاسات العملية للإيمان بالله وولاءه هو (إطاعة الله).

فمن يتولى الله تعالى يطيعه، ومن يريد أن يكون من حزب الله يخضع لكل أوامر الله ويحقق كل ما يريده منه خالقه ومولاه، وبمقدار ما يكون الانسان مطيعاً أكثر بمقدار ما يكشف ذلك عن عمق إيمانه، وعن صدق ولاءه، وأيضاً بمقدار ما يكون مطيعاً أكثر يكون أكثر إخلاصاً لله، وأصدق انتماءاً لــ (حزب الله).

وأكرر القول بأننا حين ندعي لأنفسنا أننا من حزب الله وأننا لا ننتمي إلى أي حزب آخر، يجب أن يدلل سلوكنا وعملنا على إخلاصنا لله تعالى، وصدق ولائنا له.

إن حزب الله يختلف عملهم، وسلوكهم، وأخلاقهم عن حزب الشيطان عملاً، وسلوكاً، وأخلاقاً، إن علينا أن نمتحن أنفسنا في مقدار طاعتنا لله، وبعدنا عن معاصيه، وهنا نتأكد أننا حقيقة من حزب الله أم لا؟

إن الله تبارك وتعالى يحب الصالحين، ويتقبل من المتقيّن، وإنما يقبلنا في حزبه، ويجعلنا من جنده حين نكون عباداً صالحين متقين.

* * *

في الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال:

«لا تذهب بكم المذاهب، فو الله ما شيعتنا إلاّ من أطاع الله عزوجل».

وفي رواية أُخرى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أيضاً يقول فيها:

«يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فو الله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلاّ بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران...

قلت: يابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة؟

فقال: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاّه ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً؟ فلو قال: إني احب رسول الله صلى الله عليه وآله فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي (عليه السلام) ثم لا يتبّع سيرته، ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبُّه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزوجل (وأكرمهم عليه) أتقاهم وأعملهم بطاعته.

يا جابر: «والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بالطاعة».[1]

الإمام (عليه السلام) في هذه الرواية يشرح معنى الولاء، ويذكر بالخصوص البعد العملي له، ويؤكد أنه لا ولاء ولا حبّ بدون إطاعة، وتقوى، وعمل.

---

[1]- أصول الكافي _ ج ٢- باب الطاعة والتقوى.

وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن».[1]

ومعناه أن الإيمان يحتاج إلى ترجمة عملية، الإيمان لا يجتمع مع هذه المعاصي، فـــ «من زنى خرج من الإيمان، ومن شرب الخمر خرج من الإيمان، ومن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً خرج من الإيمان».[2]كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام.

* * *

الإطاعة في السراء والضراء

والمؤمن الحقيقي هو ذلك الذي يعرف مقام ربّه ويطيعه، سواءً في حالات اليسر أو حالات العسر، في حالات الرخاء أو حالات الشدة.

لماذا؟

لأن الله تعالى حينما يكون هو هدف الانسان المؤمن وهو غايته، اذن يجب أن يسير باتجاه ذلك الهدف مهما كان الطريق،

[1]- أصول الكافي _ ج٢- باب الكبائر.
[2]- المصدر السابق.

ويجب أن يسير على الدوام ولا يتوقف، لأن المسيرة إلى الله تعالى لا تتوقف على أيّ حال، وهو سيصل إلى الله تعالى مهما تلكأ في العمل وتأخر في الطريق، لكنه حينئذ سيصل إلى الله تعالى وهو غير متهيء ولا مستحق لأن يكون في جواره.

﴿يا أَيُّهَا الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً وَيَصْلى سَعِيراً﴾.[1]

إن صفة الانسان المؤمن إيماناً حقيقياً لا إيماناً مصلحياً، وبعبارة اُخرى: إن صفة حزب الله، وأتباع الله، لا حزب المصالح وأتباع المنافع، إن صفة هؤلاء هي أنهم دائماً يتقربون إلى الله، ويعرجون إليه، ويتحببون إليه بالطاعات، يستوي عندهم حالات الشدة وحالات الرخاء، وبذلك يكونون من خير الناس كما ورد في الرواية عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال:

«من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس».[2]

وفي رواية اُخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس».[1]

[1]- سورة الانشقاق _ ٦ الى١٢.
[2]. أصول الكافي _ ج٢- باب أداء الفرائض.

أما الإمام الحسين (عليه السلام) فيتحدث عن الصنف الآخر من الناس الذين يتخذون الدين تجارة فيقول:

«الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فاذا محصّوا بالبلاء قل الديّانون».[2]

إن هؤلاء القلّة عند التمحيص هم حزب الله، وهم الذي يجعلهم الله في حزبه وفي جنده ويحشرهم في جواره.

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله:

«إنا لا نعدّ الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمرنا متبعاً مريداً، ألا وإن من اتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزيّنوا به يرحمكم الله، وكبدّوا أعداءنا به ينعشكم الله».[3]

الإطاعة في التكاليف الصغيرة والكبيرة

والانسان المؤمن هو الانسان الملتزم بشكل عام، وليس هو ذلك الذي يتحكم بأوامر الله وأحكام الشريعة، فيلتزم ببعض ولا يلتزم بالبعض الاخر.

---

1. المصدر السابق.
2. حياة الحسين _ ج٢- القرشي.
3. أصول الكافي _ ج٢- باب الورع.

هناك من الناس لا يتحرجون في ارتكاب بعض الآثام، وتجاوز بعض التكاليف بحجة أنها صغيرة وغير مهمّة. وهناك قسم آخر من الناس يطيعون الله في التكاليف السهلة التي لا صعوبة فيها، ويعصونه في التكاليف الصعبة الشاقة.

أمّا القسم الأول من الناس فهو الذي ينبه إليه الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: «اتقوا المحقّرات من الذنوب فإنها لا تُغفر.

قيل: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك».[1]

فهذا القسم من الناس يستهينون بالمخالفات الصغيرة ويحسبونها هينة ولا يبالون في الاقدام عليها.

أما القسم الثاني من الناس فهم الذين يشير إليهم القرآن الكريم بالقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.[2]

1- الأخلاق _ السيد عبد الله شبر- ٢١٨.
2- سورة النساء _ ٧٧.

هؤلاء مستعدون لاقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة لأنها لا تكلفهم الشيء الكثير، أمّا القتال في سبيل الله تعالى فهم يتلكؤون فيه ولا يقبلونه لأنه يكلفهم أنفسهم.

أما المؤمن حقيقة، أما من يريد أن يكون من حزب الله بمعنى الكلمة الحقيقية فهو ذلك الانسان الملتزم على الدوام، وبأي حال من الاحوال.

هو ذلك الانسان الذي لا يؤثر على طاعة الله تعالى شيئاً مهما كان، وهو ذلك الانسان الذي لا يتثاقل في امتثال أوامر الله حتى لو كلّفته دمه، ونفسه.

ومن ناحية أُخرى هو ذلك الذي يجتنب الآثام صغيرها وكبيرها، لأنه لا ينظر إلى صغر الذنب وإنما ينظر إلى عظمة الخالق، فتعظم عنده كل الذنوب.

نعم، الانسان المؤمن قد يذنب، قد يرتكب الصغائر، لكنه سرعان ما يتوب، سرعان ما يرجع إلى الله ويستغفر ويعتذر، وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾.[1]

[1]- سورة النجم _ ٣٢.

وحول معنى كلمة (لمم) يقول الإمام الصادق عليه السلام: «اللمم: الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه».[1]

إن صفة الالتزام بطاعة الله تبارك وتعالى سواءاً في صغار التكاليف أم كبارها، واجتناب المعاصي صغارها وكبارها، إن هذه الصفة هي المشار اليها في القرآن الكريم حينما يستعرض التزامات المؤمنين وسلوكهم فيقول: _

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾.[2]

إن الفلاح والنجاح هو نصيب هؤلاء الناس، وهذا الفلاح هو الذي أعطي لحزب الله في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[1]- أصول الكافي _ ج ٢- باب الكبائر.
[2]- سورة المؤمنون _ ١ الى، ١٠.

إذن، من يريد أن يكون من حزب الله يجب أن يحقق هذه الالتزامات، ومن يريد أن يكون مفلحاً يجب أن يحقق شرط الفلاح وهو صفة الالتزام، لا كأولئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وتلك هي صفة المنافقين من حزب الشيطان.

الطاعة لله وحده

ولمّا كان الله تعالى هو مولى المؤمنين فهو وحده الذي يطاع، ولا يمكن أن يتخذ الانسان المؤمن ولياً، وسيداً، ومطاعاً سوى الله.

نعم، كل من فرض الله إطاعته، يكون مطاعاً أيضاً، لماذا؟

لأن إطاعته هي إطاعة الله تعالى، ولأن الراد عليه كالراد على الله.

الله تبارك وتعالى أكّد على إطاعة الرسل، والرسل أكدوا على إطاعة الأوصياء، والأوصياء بدورهم أكدوا على إطاعة الفقهاء، وهكذا تبدأ السلسلة التالية: «الراد عليهم _ الفقهاء _ كالراد علينا _ والراد علينا _ الأوصياء _ كالراد على الله».[1]

[1]- وسائل الشيعة _ كتاب القضاء.

إذن فالطاعة دائماً هي لله وحده لا شريك له، والانسان المؤمن من حزب الله دائماً يأخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار، ويستشعر دائماً وأبداً بأن المسألة مسألة الله، وإطاعة الله، فحينما يطيع يعرف لماذا يطيع، وحينما يرفض يعرف لماذا يرفض، وهكذا هو يعرف لمن يطيع ولمن يرفض؟

ومن هنا فان أبناء حزب الله لا يتورطون أبداً في مرض الصنمية العمياء، ولا يتخذون أبداً أنداداً من دون الله تقرّبهم زلفى إلى الله!

فهم أولاً لا يقبلون أية ولاية وأية قيادة غير من فرض الله تعالى طاعتهم وهم (الأنبياء، الأوصياء، الفقهاء) حسب الشروط المحددة لذلك شرعاً.

فالسلطان _ غير الشرعي _ لا ولاية له ولا طاعة، والقاضي _ غير الجامع للشرائط _ لا ولاية له ولا طاعة، والقيادات الحزبية لا ولاية لها ولا طاعة، لأن كل هذه القيادات لا تستمد شرعيتها من الله تبارك وتعالى.

وبالتالي فإن الانسان (الحزب اللهي) غير مستعد لأن يتخذ منها أسياداً، وأرباباً، لا تقبل الرد، والنقد، والرفض.

ومن ناحية أُخرى فإن الانسان (الحزب اللهي) حينما يطيع الأنبياء والأوصياء والفقهاء يعرف هنا أيضاً حدود الطاعة، فهو لا يطيعهم إطاعة عمياء، وهو لا يتخذ منهم أرباباً من دون الله، وهو يرتبط بالله أولاً، وقبل كل شيء، ومن هنا ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام حين سأله أحد أصحابه قائلاً: «جُعلت فداك ما العبادة؟ قال: حسنُ النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها. أما إنك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ.

قال: قلت جعلت فداك وما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ فقال: أليس تكون مع الإمام موطّناً نفسك على حسن النية في طاعته، فيمضي ذلك الامام، ويأتي إمام آخر فتوطّن نفسك على حسن النية في طاعته؟ قلت: نعم. قال: هذا معرفة الناسخ من المنسوخ».[1]

[1]. أصول الكافي _ ج ٢ـ باب العبادة.

ومعنى هذا أنه لا توجد قيادة مطلقة لا تتبدل، ولا تتغير، والانسان الحزب اللهي يقبل بإمامة أي إمام معين من الله تعالى، ولا يحدّد لنفسه قيادة ثابتة يتخذها رباً من دون الله عزوجل.

إن الانسان الحزب اللهي لا يكون كأُولئك الذين اتخذوا عيسى وأمّه إلهين من دون الله، ولا يكون كأُولئك الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ولا يكون كأُولئك الذين اتخذوا قيادات وهمّية، استبدلوها بقيادة الأنبياء، والأوصياء، والمرجعيّة الدينية النائبة عنهم.

لا يطاع الله من حيث يعصى

والله تبارك وتعالى كما بيّن لنا الطاعات ودعانا لإلتزامها كذلك بيّن لنا حدودها، وكيفيتها، والطريق اليها.

ومن هنا فإن الانسان المؤمن كما يحرص على تلك الطاعات، كذلك يحرص على سلوك نفس الطريق المرسوم اليه شرعاً من أجل الوصول اليها.

ومعنى ذلك أنه لا يمكن الوصول إلى الغايات والأهداف الدينية بوسائل غير شرعية، وبطرق غير شرعية، وهذا معنى ما يذكره

الفقهاء: (لا يُطاع الله من حيث يعصى)، يعني أنك لا تستطيع أن تطيع الله تعالى وتقترب إليه بطريق لا يرتضيه.

هذه مسألة مهمّه في (حزب الله).

إن حزب الله الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا يعرفون أن معنى توليهم لله الإطاعة له في الأهداف وفي الوسائل، في أصل العبادة وفي كيفيتها وحدودها، وأن أي تردد في ذلك هو شائبة نفاق، وأن أيّ خروج عن الطريقة المرسومة شرعاً هو خلل في الاخلاص لله تعالى.

لنضرب مثالاً: _

إنني أريد توحيد صفوف الأمة، وصفوف العاملين للإسلام، وهذا أمر حسن وجيد، ولكن لا أستطيع الوصول إلى ذلك من خلال قمع كل من يريد التحرك والنشاط الإسلامي غيري بحجة أن هذا التحرك يمزّق الصفوف، ويفرق الكلمة، لا أستطيع الوصول إلى الوحدة من خلال سلب حريات العاملين للإسلام، وسلب حريات الجماهير المسلمة، لماذا لا أستطيع؟ لأن هذه الوسيلة غير شرعية.

فالإسلام دعا إلى الوحدة، ولكن رسم الطريق اليها، وحدد لها وسائل شرعية، منها التعاون على البر، وحسن الظن بالأخ المؤمن، وأن تحب له ما تحب لنفسك، وأن تقدم له النصيحة، وأن تتشاور معه وتستشيره، وأن تجادله بالتي هي أحسن،﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.[1]

أما أن اطلب الوحدة من خلال طريق الكبت، والحجر، والمضايقة، والضغط على العاملين، ومحاصرة نشاطهم، وهكذا محاولة عزلهم، وتسقيطهم، وبث الشائعات عليهم في وسط الأمة، فهذا العمل غير شرعي، ولا يرضي الله، وليس من أساليب حزب الله، وهو تماماً ما قال فيه الفقهاء وجاءت به الروايات: «لا يطاع الله من حيث يعصى».

ونأخذ مثلاً آخر: _

إنني _ فرضاً _ أملك رؤية سياسية معينة، وأرى أنها هي الأفضل، وأن العمل عليها هو الذي يحقق مصلحة إسلامية أكبر، لكن إذا كانت القيادة الشرعية المتمثلة بالمرجعية الدينية الرشيدة تحمل رؤية اُخرى، ولها موقف آخر يختلف تماماً مع رؤيتي

[1]- سورة فصلت _ ٣٤.

وموقفي، فهنا لا أستطيع أن أعمل على رأيي، وأرفض موقف القيادة الشرعية بحجة أنها على خطأ واشتباه، وأن رؤيتي السياسية هي الأفضل للإسلام!

لماذا لا أستطيع؟

لنفس القاعدة المتقدمة «لا يطاع الله من حيث يعصى».

فالمرجع الديني: «الراد عليه كالراد على الله» كما ورد في الحديث الشريف، والشارع المقدس ألزمنا باتباع هذا الطريق حتى لو خالف رأينا الشخصي، فأنا اذن لا أستطيع أن أرفض هذا الطريق الشرعي، وأسلك طريقاً آخر لا يرضاه الله تعالى بزعم أني أريد بذلك التقرب إلى الله، وتحقيق مصلحة إسلاميّة!!

* * *

ويناسب هنا أن نذكر كلاماً لأمير المؤمنين عليه السلام يرتبط بهذا الموضوع، يقول عليه السلام:

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيما وليت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أمّ نجم في السماء نجماً. لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنّما المال مال الله، ألا وإن إعطاء المال في

غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس، ويُهينه عند الله...».[1]

هنا يناقش أمير المؤمنين عليه السلام أُولئك الذين طلبوا منه شراء ضمائر الناس بالأموال، وكسب مودتهم ومحبتهم بإنفاق أموال المسلمين وتوزيعها عليهم بغير حق ولا أولويّة ولا ميزان شرعي، وهذا هو الطريق الذي يتّبعه الضالون المنحرفون من حزب الشيطان.

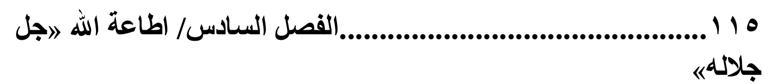
أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد رفض ذلك، وأبى أن يستخدم وسيلة غير شرعيّة من أجل الوصول إلى هدف شرعي.

ولا يمكن أن يطلب رضى الله بمعصيته ولا النصر بالجور.

* * *

إن علينا أن نعرف هذه الحقيقة دائماً، ونأخذها بعين الاعتبار، حقيقة «لا يطلب النصر بالجور» إننا في صراعنا السياسي أو العسكري مع الاعداء، وهكذا في رؤانا واتجاهاتنا السياسية فيما بيننا، يجب أن تحكمنا الشريعة، فلنلتزم الطريق المرسوم لنا، ونجتنب الطريق الحرام «المكر، والخديعة، والكذب، والتهم...».

[1]- بحارالأنوار ٣٢:٤٨.



أما أن نمكر ونغدر ونفجر، فتلك هي طريقة معاوية وأتباع معاوية، أمّا أمير المؤمنين فقد كان يقول:ـ « والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.[1]

* * *

[1]. نهج البلاغة _ الخطبه ٢٠٠.





الفصل السابع

إعلاء كلمة اللّه جلّ جلاله

- ما هي كلمة الله؟
- التصدي واجب الجميع
- قصة المفضَّل
- دلالات في القصّة



ما هي كلمة الله؟

ومن الانعكاسات العملية لولاء الله تبارك وتعالى الذي هو صفة حزب الله، التصدي لقضية الله، والعمل من أجلها!

والسؤال الآن عن قضية الله تعالى ما هي؟

فالحقيقة إن إيماننا بالله تعالى مبني على أساس أن هذا الإله الخالق له إرادة في هذا الانسان، وله غاية من خلقه، وليس هو ذلك الإله المعزول البعيد عن شؤون هذا الانسان وحياته في الدنيا والاخرة.

وهذا هو الفرق بين إيماننا القرآني بالله تعالى وبين إيمان الفلاسفة الذين لا ينظرون إلى طبيعة العلاقة بين الله تعالى وبين الانسان.

أما القرآن الكريم فيؤكد مسألة دخالة الله تعالى في حياة هذا الانسان، ووجود مطلوب إلهي لابد من تحقيقه من قبل هذا الانسان.

يقول القرآن الكريم: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً؟﴾.[1]

---

[1]- سورة القيامة _ ٣٦.

ويقول في آية اخرى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى؟﴾.[1]

إذن ما هي إرادة الله؟ وماذا يطلب من هذا الانسان؟ وكيف يريد تصميم حياته؟

هنا لا نريد أن نرجع إلى فلسفة أصل الخلقة، ولماذا خلق الله الانسان؟[2]

إنما نريد أن نعرف ماذا أراد الله لهذا الانسان؟ ومن هذا الانسان؟ وأي طريق رسمه له؟ وأي نهج وضعه له؟ وما هو ذلك الصراط الذي طلب منه اتباعه حين قال تعالى:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.[3]

---

[1]- **سورة النجم _ ٢٤.**

[2]- **القرآن الكريم يؤكد أن الله تعالى خلق الانسان من أجل الرحمة به، والتفضل عليه، هذه الرحمة التي تتجلى في قدرة هذا الانسان على التكامل، ومن ثم العيش في جوار الله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والفوز بالرضوان الأكبر، ولو لم يخلق هذا الانسان لظل حطيماً لا يلتذ بأية صورة من صور السعادة والكمال، ونترك هذا الموضوع إلى مجال آخر. أمّا الآية القرآنية التي تؤكد أن الانسان إنما خلق للرحمة فهي قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ **هود _ ١١٩.**

[3]- **سورة الأنعام _ ١٥٣.**

إرادة الله تعالى في هذا الانسان أن يكون عبداً له يلتزم بكل ما تتطلبه العبودية، كما يفهم معنى العبودية لله وحده لا لسواه. هذه هي إرادة الله من هذا الانسان، لا أن يكون جباراً في الارض، لا أن يكون معانداً جاحداً، لا أن يكون لربه خصيما مبيناً، وفي عين الوقت لا يكون عبداً ذليلاً للآخرين من دون الله.

وهذا هو معنى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[1]

الله تعالى يريد أن يكون هذا الانسان من عباده لا من خصمائه وأعدائه، ومعانديه.

والجنة إنما أعدها الله لعباده، لأن العبودية لله هي الطريق إلى الكمال، والعروج إلى الله تعالى، ولذا قال تعالى: ﴿ادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

في هذا الضوء، وعلى أساس هذا الفهم نرجع إلى سؤالنا الاول: ما هي كلمة الله تعالى؟

وما هي الأمانة التي وضعها الله في عنق هذا الانسان وطلب منه حملها والدفاع عنها قائلاً: _ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[2]

---

[1]- **سورة الذاريات _ ٥٦.**

[2]- **سورة آل عمران _ ١٠٤.**

حملها بعد أن أشفقت السماوات والارض والجبال منها وأبين أن يحملنها؟

هذه الأمانة هي رسالته تعالى وشريعته.

والتزام هذه الشريعة، وتحقيق هذه الرسالة هي أمانة الله تعالى التي يريدها من هذا الانسان. وصفة الأمة المؤمنة (أمة حزب الله) أنها تتحمل مهام هذه الرسالة، وتدافع عن هذه القضية، وتتصدى لإنجاحها كما قال تعالى: ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾.[1]

وصفة الانسان المؤمن، الانسان (حزب اللهي) أنه يتحمل هذه المهمة الضخمة، ويتصدى لها، ولا يتردد في الدفاع عنها، والعمل لإنجاحها:

قال تعالى:ــ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ﴾ .[2]

الانسان المؤمن يعرف أن مهمته في هذه الحياة أن ينتصر للإيمان ويدافع عنه، ومن خلال هذا التصدي وهذا الانتصار تكون الأمة

[1]- سورة آل عمران _ ١١٠.
[2]- سورة الأحزاب _ ٣٩.

المؤمنة أمة حزب الله أمة غالبة ومفلحة كما قال تعالى: ـ ﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

ولا يمكن أن نتصور هذه الغلبة ما لم نفترض مسبقاً أن حزب الله يعمل ويجاهد ويتصدى ويصارع الباطل، ويكون حاضراً دائماً في ساحة الصراع، لا أن يبتعد، ويتخلى، وينـــزوي.

إن هذا التصدي لقضية الله والانتصار لها هو الانعكاس العملي للولاء لله، فالانسان الذي يحب الله ويتولاه لابد أن ينتصر لرسالة الله، ويحميها ويبلّغها الناس.

والانسان الحزب اللهي الذي تتلخص كل هويته في (الولاء لله) يجب أن يكون مبلغاً لرسالات الله داعياً إلى الله، لا يخاف في الله لومة لائم، ويفترض نفسه مسؤولاً وراعياً، كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».[1]

إن هذا البعد العملي من أبعاد الولاية لله، وهذا الوصف العملي من أوصاف حزب الله هو الذي تشرحه كل الأحاديث الشريفة

[1]- ميزان الحكمة _ باب المسؤولية _ نقلاً عن كتاب كنز العمال.

التي طلبت من المؤمنين الحضور في ساحة معركة الحق ضد الباطل، والايمان ضد الكفر.

فقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وآله:

«إن الله عزوجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له.

فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر». [1]

وهذا هو ما ترجمه الإمام الحسين عليه السلام في قوله: «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، والى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، ألا وإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً». [2]

وفي القرآن الكريم وردت تعابير مختلفة كلها تشرح هذه الصفة وتؤكدها، حتى أن بعض الآيات الكريمة أناطت وربطت بين الإيمان وبين هذه الصفة _ صفة التصدي لقضية الله، والجهاد في سبيلها.

---

[1]- وسائل الشيعه _ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
[2]- حياة الحسين _ ج٢- القرشي.

قال تعالى: _ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. [1]

الآية الكريمة تفيد أن الانسان المؤمن هو الانسان المجاهد بأنحاء الجهاد وأشكاله ومجالاته كافة.

وعلى هذا الأساس نود أن نؤكد لإخواننا المؤمنين ونؤكد لأنفسنا بأننا لن نكون من حزب الله مالم نحمل همّ قضيتنا، ونكون رهن إشارة الدين الحنيف. لن نكون من حزب الله مالم نجاهد في سبيل الله، مالم نعط من أنفسنا وأموالنا وراحتنا وهدوءنا ونومنا ويقظتنا الشيء الكثير، ما لم نشعر بأن قضية الدين، ومآسي المتدينين ومشاكل أمة الإيمان هي قضيتنا ومآسينا ومشاكلنا، مالم نفرح لأفراح الدين ونحزن لأحزان الدين.

كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام في وصف الشيعة أنهم: «يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا». [2]

وما لم يكن بلاء المسلمين هو بلاءنا، ومحنتهم هي محنتنا، نتأثر لها، ونكون كما لو أصابتنا شخصياً مهما ابتعدت عنا في المكان وفي الأشخاص.

---

[1]- سورة الحجرات _ ١٥.
[2]- ميزان الحكمة _ ج٥- باب صفات الشيعة.

ومن هنا ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

«المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلةً إلا عرض له أمر يحزنه يذكر به».[1]

الحقيقة أن هذا الابتلاء ليس دائماً ابتلاءاً شخصياً، والأمور المحزنة للانسان المؤمن ليست هي الأمور الشخصية المرتبطة بوضعه الخاص.

إن كل الابتلاءات التي تمتحن بها أمة الاسلام هي أمر محزن بالنسبة للانسان المؤمن وإن ابتعدت عنه تلك الابتلاءات.

* * *

التصدي واجب الجميع

وعلينا أن نؤكد في هذا المجال أن التصدي والعمل والحضور في الساحة هو واجب الجميع.

فعلى الكل أن يقول كلمته، ويقف موقفه المناسب في تأييد ما هو حق، ورفض ما هو باطل.

على الجميع أن يحضروا في ساحة الصراع، في ساحة المواجهة بين الحق والباطل.

1- أصول الكافي _ ج٢- باب شدة ابتلاء المؤمن.

على الجميع أن يحملوا هم القضية _ قضية الله تعالى ويدافعوا عنها، ومن أجلها.

على المثقف وغير المثقّف، على العالم الديني وغيره، على صاحب التجربة الطويلة في العمل السياسي وعلى المبتديء، على ذوي الوجودات الاجتماعية وعلى الفقراء من أبناء الشعب.

إننا في هذه النقطة نريد الاشارة إلى خطأ مارسته الجاهليات القديمة والجاهليات الحديثة.

هذا الخطأ هو احتكار العمل وحجره على فئة خاصة من الناس، مرة تكون فئة الوجهاء والمشايخ! ومرة تكون فئة المثقفين والارستقراطيين! ومرة تكون فئة الكوادر الحزبيّة الطليعية!

النتيجة واحدة، والخطأ واحد.

إن هذه جاهلية لا يقرها الإسلام.

فالدين للجميع، وسعادة الأمّة للجميع، والحرية والكرامة هي للجميع، إذن فعلى الجميع ومن حق الجميع أن يكون له موقف ورأي.

إن صهيب الرومي، بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وهؤلاء الغرباء الفقراء من الناس الذين لم تعرف لهم قريش أيّ شأن، هم

الذين رفعوا راية الإسلام قبل أن يؤمن بها الوجهاء التقليديّون، وذوو الثروات، والشعراء، والمثقفون!!

هؤلاء هم الذين أرادت الجاهلية القديمة أن تستخف بوجوداتهم وآرائهم، فأبى الاسلام ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم الذين تريد الجاهلية الحديثة أن تعزلهم عن الساحة، وتحتقر وجودهم بأساليب مختلفة.

إنّ واحداً من أهم المفارقات بين أطروحة حزب الله وأطروحة (الحزب القائد) هي هذه:

إن (حزب الله) يفترض ويؤمن بأن حق التصدي هو للجميع، بل ومسؤولية الجميع، أمّا الاحزاب السياسية التي تسمى في المصطلح الحديث بـــ (أحزاب النخبة) فهي تحاول بأطروحتها أن تضع مقاليد الرأي، ومفاتيح الكلام، بيد الكوادر الطليعية التي عاشت الحلقات الحزبيّة لسنين طويلة فقط.

إن علينا أن نبحث هذه النقطة بتفصيل أكثر لدى حديثنا عن الأطروحة السياسية لحزب الله[1]، أما هنا فنأخذ من الموضوع ما

[1] ـ وذلك ما سنبحثه في«منهجنا السياسي» باذن الله تعالى.

يرتبط بجانب الشخصية الإسلامية في منهج وتربية حزب الله، وفي ظل الفهم القرآني لحزب الله.

إن شخصية الانسان المسلم المؤمن التي تحب الله، وتخاف الله، وتثق بالله تبارك وتعالى، ينعكس هذا الحب والخوف والثقة به تعالى على عملها وسلوكها، فتدعو الانسان المسلم للطاعة، وتدعوه للتصدي وتحمّل المسؤوليّة، وألا يتجنب ويعتزل، كما لا يحتكر العمل الإسلامي له وحده زاعماً أن غيره لا خبرة لهم ولا شأن!

إن شخصية الانسان الــ (حزب اللهي) ترفض تماماً هذه الامراض والأوبئة الفكرية والنفسية الناشئة من ضيق في الافق، ومقدار كبير من التعالي والكبرياء والغرور.

قصة المفضّل

بهذا الصدد نوّد أن نستعرض قصة من تاريخ أئمتنا عليهم السلام تحمل معنىً كبيراً ينفعنا في هذا المجال.

هذه القصة تعطينا مفهوماً رائعاً عن (حزب الله)، وتنقد بالصميم كل محاولة لعزل الجماهير عن الحركة وعن تحمل

مسؤوليتها، كما تبدّد تماماً مقولة أُولئك الذين يستخفون بقدرة الجماهير ــ حزب الله ــ ويدعون إلى إبعادهم عن معترك الصراع بين الحق والباطل.

قصة المفضل[1]: ــ أن جماعة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام من أهل الكوفة كتبوا اليه.

«إن المفضّل ــ أحد أصحاب الإمام وتلامذته المبرزين ــ يجالس الشطّار[2] وأصحاب الحمام، وقوماً يشربون الشراب، ينبغي أن تكتب اليه وتأمره ألاّ يجالسهم».

واضح لماذا كتبوا هذا الكتاب؟

يعتقدون أن الانفتاح على جماهير الناس، ومختلف طبقاتهم ومستوياتهم، والتعامل معهم بروح الصداقة والمحبّة، ومن ثمّ الاستفادة من طاقاتهم ومحاولة توجيهها الوجهة المناسبة، يعتقدون أن مثل هذا الانفتاح ليس بجيدّ، وهؤلاء الجماهير التي قد لا تلتزم ــ في بعض الأحيان ــ بالحدود الشرعيّة وإن كانت ذات ولاء عميق وشديد للإسلام ولقادة الإسلام، الجماهير ينبغي طردهم والوقوف بوجههم، ولا خير في ولاءهم وحبّهم، وأن العمل

---

[1]- انظر«رجال الكشي» ترجمة المفضّل بن عمر.

[2]- الشطّار مصطلح قديم يقصد به البطالون من الناس والطبقة السفلى منهم.

الإسلامي ينبغي أن يعتمد ــ فقط ــ على ثلّة قليلة من الناس هم أصحاب الوعي والخبرة، وذوي التجربة والكفاءة السياسية!!

ما هو ردّ الإمام لهؤلاء؟

تقول القصّة: أن الإمام الصادق عليه السلام كتب إلى المفضّل كتاباً وختمه ودفعه إليهم، وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضّل، فجاؤوا بالكتاب إلى المفضل ودفعوه إليه ففكّه وقرأه، فاذا فيه:«بسم الله الرحمن الرحيم، اشتر كذا، واشتر كذا» ولم يذكر قليلاً ولا كثيراً مما قالوا فيه. فلما قرأ الكتاب دفعه إليهم، فقرأه كل واحد منهم. فقال المفضّل: ــ ماذا تقولون؟

قالوا: ــ هذا مال عظيم حتى ننظر ونجمع ونحمل إليك ثم لم ندرك...

وأرادوا الانصراف، فقال المفضّل تغدوا عندي فأجلسهم لغدائه.

وتستمر الرواية فتقول: أن المفضل حين أجلسهم عنده أرسل سريعاً إلى أصحابه من أهل السوق، وعامّة الناس الذين عبرّ عنهم أُولئك الصحابة بأنهم من الشطار وأهل الحمام... وكانوا ينتقدون المفضل على اتصاله بهؤلاء الناس.

فجاء أصحابه وقرأ عليهم المفضّل كتاب الإمام الصادق، وما يطلبه فيه من شراء بعض الحاجات التي تكلّف مالاً عظيماً، وخرجوا من عنده لتوفير ما يطلبه الإمام عليه السلام.

تقول الرواية «وجلس هؤلاء _ وزرارة ومحمد بن مسلم وآخرين _ ليتغدّوا فرجع الفتيان _ أصحاب المفضل _ وحمل كل واحد منهم على قدر قوته ألفا وألفين، وأقل وأكثر، فحضروا وأحضروا ألفي دينار، وعشرة آلاف درهم قبل ان يفرغ هؤلاء من الغداء «فالتفت المفضل إلى ضيوفه الذين حملوا له كتاب الإمام الصادق عليه السلام وانتقدوه على تعامله مع عامّة الناس قائلاً لهم: تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي؟؟

تظنّون أن الله تعالى محتاج إلى صلواتكم وصومكم».[1]

* * *

دلالات في القصّة

إن هذه القصّة تعكس لنا أموراً مهمّة للغاية في أطروحة حزب الله التي سيأتي الحديث عنها _ لدى البحث في (منهجنا السياسي) و(أخلاقنا السياسيّة).

[1] . رجال الكشي ٢:٦٢.

فالجماهير، وعامة الناس، وأهل السوق تستطيع أن تحقق للإسلام وللمهام الإسلاميّة الشيء الكثير الذي يعجز من تحقيقه غيرهم.

ويتّضح من موقف الإمام عليه السلام حين بعث بكتاب إلى المفضل يأمره بأن يشتري بعض الحاجات، يتّضح من هذا الموقف أن الإمام عليه السلام قصد نفس الدرس الذي علّمه المفضل لهؤلاء الأصحاب، فالإمام يعرف أن المفضل سوف يستعين بعوام الناس، ومن خلال هؤلاء يستطيع أن يحقق ما طلبه الإمام، بينما لا يستطيع أولئك الذين انتقدوه أن يحققوا، ومن المفيد أن نمعن النظر في جوابهم للمفضل حين سألهم عن رأيهم في شراء تلك الحاجات، قالوا:«هذا مال عظيم، ننظر، ونجمع، ونحمل إليك، ثم لم ندرك».

يتصوروّن أن المسألة تحتاج إلى عقد جلسات، ومباحثات، وتخطيط تنظيري، وبدون ذلك لا يمكن الإقدام على هذا المشروع الضخم!

وسرعان ما نسف المفضّل هذه الأوهام الناشئة من البعد عن الجماهير، والانغلاق عنها، والعمل ضمن حلقات خاصة تخطيطية...!

*   *   *




الفصل الثامن

الولاء
للرسول «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام»

- الولاء شرط الإيمان
- المحبة أولى مستويات الولاء
- الطاعة ترجمان المحبة
- النصرة والفداء
- محبّة أهل البيت عليهم السلام
- تجسيد المحبّة
- الولاء والبلاء
- حبُّ العلماء




الولاء شرط الايمان

في أكثر من نصٍ قرآني تتأكد حقيقة أن الولاء لله تعالى لا يمكن أن ينفصل عن الولاء للرسول صلى الله عليه وآله والذين آمنوا، بمعنى أن الولاء لله لا يكون صادقاً ولا واقعياً إذا لم يترجم إلى ولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وللأمة المؤمنة بالله ورسوله، ومن دون ذلك فإن الولاء لله تعالى سيبقى مجرد ادعاءٍ لا يملك ما يبرهن على صدقه.

الآيات التي تحدثت عن «حزب الله» كانت واضحة في شرح هذه الحقيقة وبيان الملازمة حينما تقول:

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.[1]

وتقول في موضع آخر:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾.[2]

1- سورة المائدة _ ٥٦.

2- سورة المائدة _ ٥٥.

ومن جانب آخر فإن الآيات القرآنية تريد أن تؤكد على حقيقة أن الإيمان لا يمكن أن يتجرد عن الولاء بكل أبعاده ومعانيه ومستوياته.

لا يمكن أن يكون الانسان مؤمناً بالله ورسوله ولكنه لا يحمل ولاءاً لله ورسوله والأمة المؤمنة كما هو شأن المنافقين الذين يعلنون الإيمان ولكنهم يبطنون البغض والكراهية وأحياناً العداء لله ورسوله وللمؤمنين، بينما يتولون الطاغوت وأعداء الله والذين كفروا...

إن الفهم الديني يؤكد على مسألة أن «الولاء» هو المعبر الحقيقي عن الانتماء إلى هذه الجماعة أو إلى تلك الجماعة، والمظاهر وحدها ليست كافية في تحقيق هذا الانتماء، حتى إذا كان لها بعض الامتيازات على مستوى الحكم الشرعي لتنظيم العلاقة مع الناس.

لاحظوا قوله تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

إن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ شرح دقيق لفكرة أن الولاء هو أساس الانتماء إلى هذه الجماعة أو تلك، الولاء بكل

1- سورة المائدة _ ٥١.

أبعاده ومستوياته، بدءاً من المحبة القلبيّة وحتى يصل إلى الارتباط ثم التبعيّة العمليّة والسياسيّة.

وفي هذا الضوء لا نستطيع أن نتصور مؤمناً صادقاً في إيمانه وهو يوالي أعداء الله ورسوله والذين آمنوا.

يقول الله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾.[1]

والآية هنا لا تتحدث عن المظهر الخارجي، فقد كان هناك قوم يظهرون الإيمان ولكنهم يوادون الكافرين، إنما تتحدث الآية عن قضيّة تكوينيّة، وكأنها تريد أن تقول أنه لا يمكن أن يوجد شخص مؤمن بحقيقة الإيمان وهو يوالي من حاد الله ورسوله.

المحبة أولى مستويات الولاء

وكما سبق شرحه في مسألة «الولاء لله» فإن الولاء للرسول صلى الله عليه وآله هو الآخر ينطوي على مستويات ومراحل.

أول تلك المراحل هو الحب القلبي والتعلق النفسي بالرسول صلى الله عليه وآله.

---

[1]- سورة المجادلة _ ٢٢.

جاء في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وآله:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ اليه من ولده ووالده والناس أجمعين».[1]

والملاحظ في هذا الحديث الشريف أن الحب للرسول صلى الله عليه وآله يجب أن يكون أعلى مراتب الحبّ بحيث لا يصل إلى مستواه حب أي شيء آخر.

هذا المعنى هو ما أكدته الآية القرآنية بالقول:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.[2]

* * *

الطاعة ترجمان المحبة

ولكن هذه المحبّة وحينما تكون بهذا المستوى يجب أن يعكسها الواقع العملي للانسان المؤمن من خلال الطاعة المطلقة للرسول صلى الله عليه وآله.

---

[1]. عن ميزان الحكمة _ ج ٢- باب حب النبي صلى الله عليه وآله.

[2]- سورة التوبة _ ٢٤.

هذا هو ما أكّدته الآية القرآنية:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.[1]

وفي موضع آخر نجد القرآن الكريم يحصر الإيمان بحالة الطاعة والتبعية المطلقة للرسول صلى الله عليه وآله حيث يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.[2]

النصر والفداء

وتصل حالة «الولاء» إلى مستوى أعلى من مستوى الحب والطاعة، وهو مستوى النصرة والفداء وبذل النفس من أجل الرسول صلى الله عليه وآله، حيث يجعل القرآن هذا المستوى علامة على حقيقة الإيمان وصدقه.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾.[3]

---

[1]- سورة الأحزاب _ ٣٦.
[2]- سورة النور _ ٦٢.
[3]- سورة الأنفال _ ٧٤.

ويقول تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.[1]

محبة أهل البيت عليهم السلام

ولكن محبّة الرسول صلى الله عليه وآله باعتبارها تعبيراً عن المحبة لله تعالى ولدينه ورسالته يجب أن تمتد إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، حيث أن محبتهم هي الدليل على صدق محبة الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة والمرسل، لأنهم يمثلون الامتداد الطبيعي والشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله كما جاءت بذلك النصوص الشريفة.

حيث قال الله تعالى على لسان نبيّه في القرآن الكريم:

﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.[2]

فيما أكدت النصوص المتواترة أن «القربى» هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

---

[1]- سورة الحشر _ ٨.
[2]- سورة الشورى _ ٢٣.

وبهذا نستطيع أن نفهم بشكل واضح معنى الأحاديث النبوية التي تقول:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». [١]

أو تقول:

«فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن أبغضها فقد أبغضني». [٢]

ونستطيع أن نفهم معنى النصوص العديدة التي أكّدت على أن من يبغض أهل البيت لا يكون إلاّ منافقاً، حيث كان المنافقون يعرفون في صدر الاسلام الأول من خلال العرض على أمير المؤمنين، فمن أحبّه كان مؤمناً، ومن أبغضه كان منافقاً، كما جاء في روايات عديدة نقلتها كتب الفريقين.

ولأجل أهمية محبة أهل البيت عليهم السلام في بناء التركيبة النفسيّة والعقائدية للانسان المؤمن، جاء التاكيد على ذلك في نصوص الزيارات الشريفة لهم عليهم السلام التي تستعرض وجوه

[1]- الإرشاد للمفيد ١٧٦:١.
[2]- مناقب آل أبي طالب ١١٢:٣.

وألوان العلاقة العاطفية والفكرية والعملية مع أهل البيت عليهم السلام حينما تقول:

«من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله، ومن أحبّكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله».

وتقول:

«آمنت بكم وتوليت آخركم بما توليت به أولكم، وبرئت إلى الله عزوجل من أعدائكم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم، الجاحدين لحقكم، والمارقين من ولايتكم...». [1]

تجسيد المحبّة

ولا شك أن المحبّة يجب أن تتجاوز حدود الولاء العاطفي إلى الواقع العملي كما سبق شرحه.

ولكن ما نريد الإشارة اليه في هذا الموضع _ ودون أن نتجاوز الحدود التي وضعناها لهذا البحث _ هو ضرورة تعميق التفاعل مع قضايا أهل البيت عليهم السلام فكراً وعاطفةً لدى شخصيّة أبناء

[1]- انظر (زيارة الجامعة الكبيرة) _ مفاتيح الجنان _ عباس القمي.

(حزب الله)، وهو ما تؤكده مئات الروايات الشريفة الواردة عنهم عليهم السلام في فضل زيارتهم، وإحياء ذكرهم، والحزن لأحزانهم، والفرح لأفراحهم، وذكرهم في كل مواطن الذكر، حتى ليكون «ذكرهم في الذاكرين، وأسماؤهم في الأسماء، وأنفسهم في النفوس، وقبورهم في القبور...» كما جاء في زيارة الجامعة الشريفة.[1]

إن الزيارة اليومية لهم _ ولو من بعيد _ وحضور مجالس ذكرهم عند المصائب والأفراح، والاستعداد للتضحية في هذا السبيل، والاعلان عن الولاء لهم والبراءة من أعدائهم هي أمور أساسيّة في شخصيّة الانسان المؤمن، وتعبير عن مدى صدق ولائه لله ورسوله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته الاطهار عليهم السلام.

أما الاقتصار على الجوانب العقيدية في العلاقة بهم والاستهانة بالجانب النفسي والعاطفي، وعدم الاهتمام بالانشداد القلبي المستمر معهم عليهم السلام هو أمر بعيد عن المنهج الذي أوصى به أهل البيت عليهم السلام.[2]

[1]- مقتبس من زيارة الجامعة الكبيرة، وجاء فيها « ذِكركم في الذاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأنفسكم في النفوس، وقبوركم في القبور».

[2]- راجع الرؤية الكاملة لهذا الموضوع في كتابنا (بحوث في المنهج السياسي) فصل الشعائر الدينية والمذهبية.

الولاء والبلاء

إن كثيراً من الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام تؤكد وجود ترابط بين حبهم عليهم السلام وبين ضرورة الصبر على البلاء والاستعداد له، والواقع التاريخي لشيعة أهل البيت عليهم السلام أكدّ هذه الحقيقة كقضية تاريخية ما تزال قائمة.

جاء في الرواية عن منهال بن عمر قال: كنت جالساً مع محمد بن علي الباقر عليهم السلام اذ جاءه رجل فقال: والله إني لأحبكم أهل البيت.

قال عليه السلام: فاتخذ للبلاء جلباباً، فو الله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم.[1]

فما هو تفسير ذلك؟

إن التفسيبر الطبيعي لذلك هو ما يكتنفه الولاء لاهل البيت عليهم السلام من موقف سياسي ومنهج أخلاقي في التعامل مع الواقع السياسي والاجتماعي الحاكم.

[1]- ميزان الحكمة عن مصادره _ ج٢- باب المحبة.

إن الولاء إذا كان مجرد إضمار المحبّة لهم عليهم السلام فإنه سوف لا يجرّ للموالي أية مشكلة سياسية أو اجتماعية، ولكنه حينما يتحوّل إلى موقف من الانحراف في الجهاز الحاكم أو الواقع الاجتماعي الفاسد فإنه سينجر إلى حالات من الفقر أو الملاحقة السياسية أو المقاطعة الاجتماعية وما شاكل ذلك _ والعجيب أن بعض النصوص الشريفة تقول «ولولا أن تكونوا كذلك لرأينا أنكم لستم منّا» كما جاء عن الإمام الباقر[1] عليه السلام بما يعني أن عدم نزول البلاء هو دليل على عدم الاخلاص في الإيمان والولاء والتشيع لأهل البيت عليهم السلام.

على أن تفسيراً آخر قد يقدم لسرّ الترابط بين الولاء والبلاء، وهو اعتبار البلاء طريقاً من الله تعالى سوف يبتليه الله بأنواع البلاء للمزيد من تنقية قلبه وتطهير نيته وقطع روابطه مع الدنيا، وهذا هو الذي قد يشرحه الحديث الشريف المعروف القائل «أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[2] إلاّ أن هذا التفسير لا يتنافى مع التفسير الأول، بل ينضم إليه ويقف إلى جانبه.

---

[1]- **المصدر السابق.**

[2]- **المصدر السابق.**

فالبلاء قد يكون عاملاً على زكاة الانسان، ومزيد توجهه نحو الله تعالى، إلاّ أن أسباب ذلك قد ترجع إلى مواقف سياسيّة ودينيّة، ومناهج حركية واجتماعية كما نجده بشكل خاص في شيعة أهل البيت عليهم السلام، فإن البلاء النازل عليهم لم يكن بلاء أمراض ووفيات وحوادث طبيعية، وإنما كان بلاء ملاحقات سياسيّة، ومواجهات ثقافية ودينيّة، ومطاردات اجتماعيّة وطائفيّة.

حبُّ العلماء

ولابد أن تمتد محبّة الرسول وأهل بيته الاطهار عليهم السلام لتشمل علماء الدين، وحملة الرسالة الإلهيّة فإنهم ورثة الأنبياء، وخلفاء الأئمة الأطهار عليهم السلام، وبمقدار ارتباط الانسان المؤمن بالله ورسوله وشريعته، يجب أن يكون ارتباطه بعلماء الدين حيث المنبع لهذا الحب واحد، وهو حب الله تعالى ودينه، والهدف واحد وهو الوصول إلى الله تعالى ومرضاته.

فمن غير الممكن أن يحتفظ الانسان بالسلامة والنقاء في ولائه لشريعة الله ثم لا يحب حملة الشريعة، أو يحب الرسول والأئمة الأطهار ثم لا يحب الحبل الذي يوصله إليهم وينقل إليه كلماتهم.

كيف نتصور ذلك؟

وإذا كان بغض علي عليه السلام يمثّل نفاقاً، فإن بغض العلماء هو الآخر يمثل حالة من الخلل في سلامة الإيمان.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:«النظر إلى وجه العالم حباً له عبادة» وقد سُئِلَ إمامنا الصادق عليه السلام عن ذلك فقال: هذا العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرّك الآخرة، ومن كان خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة».[1]

وفي هذا الضوء سيكون أحد معالم شخصية المؤمن الحزب اللهي هو حب علماء الدين، والتودد لهم، والتقرب منهم، والارتباط بهم.[2]

ولقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«اغدُ عالماً أو متعلماً أو أحب أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك».[3]

* * *

---

[1]- ميزان الحكمة _ ج٦- ابواب العلم _ عن مصادره.

[2]- راجع عشرات النصوص في هذا الشأن في المصدر السابق وفي أصول الكافي للكليني _ الجزء الاول.

[3]- أصول الكافي _ ج٢- كتاب فضل العلم.

ومن الطبيعي أن ليس المقصود هو حب أفراد العلماء بأشخاصهم واحداً واحداً، فربما كانت بعض الأخلاقيات أو الحالات الخاصة لدى بعضهم تدعوك للابتعاد عنه شخصياً أو عدم الانجذاب اليه.

إنما المقصود هو محبة هذه الشريحة من الناس لطبيعة موقعها ومهمتها وسلوكها وإخلاصها، حيث نلاحظ أن أعداء الدين والمنافقين يحملون الكراهية بالدرجة الأولى لهذه الشريحة أيضاً لنفس الاسباب التي يجب أن تدعونا لحبّهم.

إن المحبة إذن ليست للشخص وإنما هي للعنوان، وبمقدار ما يكون هذا العنوان مجسَّداً بشكل أكبر في هذا العالِم أو ذاك تكون المحبة إليه أكبر.

* * *




الفصل التاسع

الولاء للذين آمنوا

- الإيمان أساس الولاء
- الإيمان الصادق
- الأبعاد المختلفة للولاء




الايمان أساس الولاء

الولاء للذين آمنوا هو العلامة الثالثة من علامات حزب الله، حيث قال الله تعالى:﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

والفكرة هي الفكرة نفسها التي تحدثنا عنها في الولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام ولعلماء الدين.

فحينما يكون الله تعالى هو محبوبنا الاول، فان هذا الحب لابد أن يسري إلى أنبياء الله ورسله، ثم كتبه ورسالاته، ثم حملة تلك الرسالات من الأوصياء والعلماء، وهكذا يستمر سير هذا الحب وتواصله حتى يصل إلى كل عباد الله الصالحين، المؤمنين الذين أحبّهم الله تعالى، فالحب للذين آمنوا بالله هو حب لله بالدرجة الاولى، ولأن هؤلاء المؤمنين هم الذي أحبّوا الله، وآمنوا به، وانتموا اليه، فمن الطبيعي أن نحبّهم، لأننا أيضاً ننتمي إلى الله ونعيش في نفس هذه الدائرة.

الإيمان الصادق

وسوف نعرف أن الولاء للذين آمنوا سيكون شرطاً في صدق الإيمان بالله تعالى، حيث لا يمكن لانسان أن يكون محباً للإيمان ثم يبغض أهل الإيمان، أن يكون من أنصار الله ثم لا يحب أبناء حزب الله وأمة حزب الله.

إن الإسلام رسم عقد الاخوة بين المؤمنين قائلاً ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾،[1] وحينما نقبل هذه الأخوة فلابد أن نقبل معها المحبة والولاء بمستوياته المختلفة.

ولكننا سوف نواجه هذا السؤال:

قد لا تحب بعض المؤمنين ربما لخلاف حدث بينكما، أو لبعض صفاته الشخصيّة التي قد تدعوك للنفرة منه، وربما لا تحبه لأنك لا تعرفه ولا علاقة لك به، فهل يعني ذلك خللاً في الإيمان؟

وربما تصل الحالة أحياناً إلى قطيعة، وتتصاعد أحياناً حتى تصل إلى مرافعات قضائية، وربما تتطور فتصل _ لسبب من الأسباب _ إلى حالة من العداء، فكيف نفسّر ذلك مع أن هذه القضايا مألوفة وطبيعية في واقعنا الاجتماعي؟

[1]- سورة الحجرات _ ١٠.

الجواب:

إن المقصود بالولاء لـــ«الذين آمنوا» ليس هو الولاء لكل فرد فرد من المؤمنين، إنما هو الولاء للمجتمع المؤمن، والأمة المؤمنة، الولاء للظاهرة الايمانيّة أينما كانت في فرد، أو مؤسسة، أو مجتمع، فالمؤمن يشعر برابطة الولاء بينه وبين الإيمان أينما حلّ ووجد، وعلى أساس ذلك يتوزع ولاؤه ويتناسب ويتصاعد طردياً بمقدار علاقة الطرف الآخر بالإيمان وتمثيله للحالة الإيمانيّة.

ولعل هذا هو ما عناه الحديث النبوي الشريف القائل:

«من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم».[1]

لأن الاهتمام هو أحد مظاهر الولاء بين المسلمين، وأمور المسلمين تشمل أولئك الذين تعرفهم بأشخاصهم أو لا تعرفهم بأشخاصهم.

[1]- أصول الكافي _ الكليني _ الاهتمام بامور المسلمين _ ج٢.

المسلمون في كل بقاع العالم حينما يتعرضون لاعتداء أو مأساة طبيعيّة يجب أن تشاركهم في الهمّ، وذاك هو المقصود بالولاء «للذين آمنوا».

* * *

وأمّا حدوث حالات من الكره والضغينة أحياناً بين بعض المؤمنين، فإنها يجب أن تكون بحدودها الشخصيّة ولا تتجاوز ذلك إلى حالة الإيمان الموجودة لدى الطرف الآخر، فهو كمؤمن أنت تحبه، ولكنه كصاحب مشكلة معك قد تكرهه على أساس ذلك وبحدود تلك المشكلة.

أما القطيعة والهجر فإن الشريعة الإسلامية تحرّمها بين المؤمنين مهما كانت الأسباب، إلا في حالات النهي عن المنكر، وحينما تكون المقاطعة أحد السبل لترشيد وتصحيح حركة الطرف الآخر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا هجرة فوق ثلاث».

وقال صلى الله عليه وآله:

«أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الاسلام و لم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب».[1]

* * *

وأما العداء فانه حالة مرفوضة تماماً بين المؤمنين، ومهما بلغت الخلافات الشخصية أو السياسية فإنها يجب أن لا تصل إلى حالة العداء، لأن الأخوّة بين المؤمنين قانون محفوظ في كل الحالات، وحينما يحدث عداء فإنه يعني خروج أحد الطرفين عن الإيمان، وفي هذه الحاله فقط _ وحينما تكون واقعيّة _ يصبح العداء أمراً ممكناً ومقبولاً.

جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) في استعراض حق المؤمن على أخيه:

«وأن لا يقول له أف، وإذا قال له أفّ فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما، وإذا اتّهمه إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء».[2]

---

[1]- أصول الكافي _ ج٢- باب الهجرة.
[2]- أصول الكافي _ ج٢- ١٧١.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث شريف:

«ألا إن في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين».[1]

ويهمنا في هذا الصدد أن ننبّه إخواننا المؤمنين إلى ضرورة وضع هذه المسألة موضع الاهتمام الكبير، فإننا يجب أن نفتح صدورنا للمؤمنين كافة ومهما بلغت الخلافات بيننا على مستوى المذاقات، أو مشاكل العمل، وحتى أولئك الذين قد نختلف معهم في المنهج فإنهم ماداموا في صف الإسلام والتحرك للقضيّة و لم يتحولوا إلى صف العدو فهم إخواننا، ويجب أن نحفظ بيننا وبينهم حالة الأخوة والولاء بكل محاليلها النفسية والعملية، وبهذا نستطيع أن نكون تجسيداً حقيقياً وصادقاً لأطروحة (حزب الله) وأخلاقية (حزب الله) و«شخصية حزب الله» في العمل الإسلامي.

ومن المفيد هنا أن نقرأ الرواية التالية عن الإمام الباقر (عليه السلام):

عن أبي اسماعيل قال:

قلت لأبي جعفر الباقر (عليه السلام): جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير.

---

[1]- أصول الكافي _ ج ٢- ٣٤٦.

فقال: فهل يعطف الغني على الفقير؟

وهل يتجاوز المحسن عن السيء؟

ويتواسون؟

فقلت: لا.

فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا.[1]

هذه هي أخلاقية المؤمن ومعالم شخصيته، وهؤلاء هم شيعة آل البيت عليهم السلام وهم حزب الله وأنصاره.

الابعاد المختلفة للولاء

الولاء بين المؤمنين الذي تحدث عنه القرآن الكريم بالقول ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ هو عنوان عريض يستوعب في داخله مظاهر عديدة بدءاً من الحب والود، وإلى الصلة والتزاور، والعون وقضاء الحاجات، والمساواة والتباذل، وحتى نصل إلى النصرة والتفاني من أجل المؤمنين.

كل هذه مظاهر للولاء المتبادل بين المؤمنين.

[1]- أصول الكافي _ ج٢- باب حق المؤمن.

وقد يناسب هنا أن نقرأ بعض الروايات الجامعة الشاملة في هذا المجال، تاركين القارئ إلى مراجعة المصادر للاطلاع على عشرات بل مئات النصوص الشريفة في هذه المجال.

عن أبي مأمون الحارثي قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المؤمن على المؤمن؟

قال: إن من حق المؤمن على المؤمن:

١ _ المودة له في صدره.

٢ _ والمواساة له في ماله.

٣ _ والخلف له في أهله.

٤ _ والنصرة له على من ظلمه.

٥ _ وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه.

٦ _ وإذا مات الزيارة إلى قبره.

٧ _ وأن لا يظلمه.

٨ _ وأن لا يغشه.

٩ _ وأن لا يخونه.

١٠ _ وأن لا يخذله.

١١ _ وأن لا يكذّبه.

١٢ _ وأن لا يقول له أف.

١٣ _ وإذا اهمّه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء».[1]

بينما يقول (عليه السلام) في رواية أخرى يرويها عيسى بن أبي منصور قال:

«كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) أنا وابن أبي يعفور وعبد الله بن طلحة فقال ابتداءاً منه:

يا ابن أبي يعفور، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ست خصال من كنّ فيه كان بين يدي الله عزوجل وعن يمين الله.

فقال ابن أبي يعفور: وما هنَّ جعلت فداك؟

قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحبّ لأعز أهله، ويكره المسلم لأخيه ما يكره لأعز أهله، ويناصحه الولاية، فبكى ابن أبي يعفور وقال: كيف يناصحه الولاية؟

قال: يا ابن ابي يعفور إذا كان منه بتلك المنـــزلة بثّه همّه، ففرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن، وإن كان عنده ما يفرّج عنه فرّج عنه، وإلاّ دعا الله له».[2]

---

[1]- المصدر السابق _ حديث ٧.

[2]- المصدر السابق _ الحديث ٩.

الفهرست

* * *